

الظواهر الصوتية

ويحتوى على سبعة مباحث:

- المبحث الأول: الهمز.
- المبحث الثاني: الإدغام.
- المبحث الثالث: التغير.
- المبحث الرابع: الإمالة.
- المبحث الخامس: تَغْيِيرُ الصائتِ بالاختلاس والإشباع.
- المبحث السادس: ياءات الإضافة.
- المبحث السابع: التثقيب والتخفيف.

obeikandi.com

المبحث الأول الهمز

الهمز سمة من سمات القبائل البدوية، كتميم وقيس وبنى أسد ومن جاورها، أى قبائل وسط الجزيرة العربية وشرقها.

أما قبائل التخفيف، فهى القبائل الحضرية ومنهم أهل الحجاز وبخاصة قریش فى مكة، والأوس والخزرج فى المدينة.

ولما (كانت القبائل البدوية تميل إلى السرعة فى النطق وتلمس أيسر السبل إلى هذه السرعة، فإن تحقيق الهمزة كان فى لسانها الخاصة التى تخفف من عيب هذه السرعة.

أما القبائل الحضرية - فعلى العكس من ذلك - كانت متأنية فى نطقها، متدة فى أدائها، فأهملت همز كلماتها... واستعاضت عن ذلك بوسائل عبر عنها النحاة بعبارات مختلفة، كالتسهيل، والتخفيف^(١).

وتخفيف الهمزة يجمعه كما قال ابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ) الإبدال والحذف وبين بين^(٢).

أولاً: التحقيق:

أ - الهمزة المفردة:

١ - قال تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [البقرة]

قرأ عاصم الجحدري «هُزُؤًا» بالهمزة وضمين.

(١) القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث ٣٠-٣١.

(٢) ينظر: شرح الشافية ٣٠/٣.

جاء فى أساس البلاغة: (هَزِيٌّ به ومنه، وهَزَأَ وتهزأ، واستهزأ، واتخذهُ هُزُؤًا)^(١).

وفى القاموس المحيط: (هَزَأَ مِنْهُ وَبِهِ كـ «مَنَعَ، وَسَمِعَ» هُزَأَ وَهُزُؤًا)^(٢).

فمن ضم الزاى وهمز فحجته أنه راعى اتباع الخط؛ لأن «هَزُؤًا» فى المصحف مكتوبة بالواو، ومن قرأها بالتسكين فإنما أراد التخفيف^(٣).

أما من قرأ بالضم وتحقيق الهمز فهى جائزة ومستحسنة كقراءة من قرأ بالإسكان وقلب الهمزة واوًا، لأنه تخفيف قياسي^(٤).

٢- قال تعالى:

﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾^(٥)

[البقرة]

قرأ الجحدري: «ميكائيل» بهمزة مكسورة بعد الألف وياء ساكنة، وجبرائيل وميكائيل اسمان أعجميان عربًا، وقد ذكرهما الجواليقي فى مُعْرَبِهِ، وحكى عن ابن عباس أنه قال: «جبرائيل» و«ميكائيل»: جَبْر: عَبد، كقولك: عبد الله وعبدالرحمن، ذهب إلى أن «إيل» اسم الله تعالى واسم الملك «جَبْر» و«ميكائيل» فُسبًا إلى الله تعالى ولم يختلف المفسرون فى هذا.

وروى عن الكسائى أنه قال: (جبريل وميكائيل أسماء لم تكن العرب تعرفها فلما جاءت عربتها)^(٥).

وذكر الأخفش أن العرب يقولون «ميكائيل» فيهمزون ولا يهمزون^(٦).

وميكال بوزن قنطار، وميكائيل بوزن ميكاعيل.

(١) أساس البلاغة ٧٠٠.

(٢) القاموس المحيط ٣٤/١.

(٣) ينظر: الحجة لابن خالويه ٥٨.

(٤) ينظر: مجمع البيان ١/١٣١.

(٥) العرب ٣٢٧.

(٦) معانى القرآن للأخفش ١/١٤٠.

وذكر ابن جنى أن (العرب إذا نطقت بالأعجمي خلطت فيه)^(١).

وقد نسب تحقيق الهمز إلى تميم والتسهيل إلى أهل الحجاز ف (التميميون يقولون «جبرائيل ومكائيل» وأهل الحجاز يقولون: جبريل وميكال)^(٢) وهما ممنوعان من الصرف للتعريف والعجمة^(٣).

٣- قال تعالى:

﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١٠٦) [البقرة].

قرأ الجحدري «ننساءها» بفتح النون والسين وإثبات الهمزة.

(ونساء الأمر: أخره، ونساته فاتتسا أي: تأخر)^(٤).

فمن قرأ «ننسيها» من غير همز (فمن النسيان الذي هو بمعنى السهو أو بمعنى الترك)^(٥).

ومن قرأ «ننساءها» فهى من النساء وهو التأخير، ومنه أنسا الله أجلك ونساء فى أجلك، أى أخره^(٦).

والنسيئة تأخير الشيء ودفعه عن وقته، ومنه النسيء وهو شهر كانت العرب تؤخره فى الجاهلية، من الأشهر الحرم^(٧).

قال الشاعر^(٨): [من الوافر]

(١) الخصائص ٣٥٩/١.

(٢) البحر المحيط ٣١٨/١، لهجة تميم ١٦٠.

(٣) ينظر الكشاف ١٦٩/١.

(٤) أساس البلاغة ٦٢٩.

(٥) مجمع البيان ١٧٩/١.

(٦) ينظر المجتبى فى تخريج قراءة أبى عمر الدورى ٢٢، مجمع البيان ١٧٩/١.

(٧) العين ٣٠٦/٧.

(٨) عمير بن قيس بن جذل الطعان، كان يفخر بالنسيء للشهور الحرم فى الجاهلية. ينظر: المؤلف

والمختلف ٢٤٣، والعين ٣٠٦/٧.

السنة الناسئين على معدّ شهور الحلّ نجعلها حراما
ب- الهمزتان الهمجتان فى كلمة:

١- قال تعالى:

﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ [الواقعة].

قرأ الجحدري: «أإنّا» بهمزتين على الاستفهام، الأولى مفتوحة والثانية مكسورة.

وقراءة الجمهور: «إنّا» بحذف الهمزة الأولى.

تحدثنا فيما سبق عن الهمز على أنه ظاهرة صوتية، حيث تناولنا الهمزة المفردة بعد أن مثلنا لها بشواهد من قراءة الجحدري، وقد أتى الهمزة مجتمعة مع همزة أخرى فى ذات الكلمة، وهو ما سنبحثه فى هذا الموضوع. وقد قرأ الجحدري (بهمزتين) فى موضع واحد فقط، وهو الآية (٦٦) من سورة الواقعة.

ولما كانت الهمزة صوتا حلقيا بعيد المخرج، صعب التلفظ بها، يتهوع الناطق بها تهوعاً حتى يخرجها - مع ما فيها من الجهر والقوة - بخلاف سائر الأصوات، فقد تعاملت العرب مع الهمزة المفردة تعاملًا يختلف عن تعاملها مع الحروف الأخرى. فقد استعملوا فيها: التحقيق، والتخفيف، وإلقاء حركتها على ما قبلها، وإبدالها بغيرها من الحروف، وحذفها فى مواضعها، وإنما فعلوا ذلك كله لاستتقالهم لها^(١).

ولتوجيه قراءة الجحدري هذه لابد من القول بأنه:

إذا اجتمعت الهمزتان فى كلمة، فالتقدير فى الأولى، أنها منفصلة فى النية؛ لأن لك حذفها فى كلام العرب، وذلك كل همزة استفهام دخلت على ما بعدها من همزة أخرى نحو: ﴿أَأَنْذَرْتَهُمْ...﴾ [٦] ﴿البقرة﴾، و﴿أَأَقْرَرْتُمْ...﴾ [٨١] ﴿آل عمران﴾ وشبهه.

(١) ينظر: الكشف ٧٢/١.

فالهمزة الأولى دخلت على «أنذر» و«أقرَّ» قبل أن لم تكن فهي بمنزلة همزة من كلمة أخرى، إذ الانفصال والزيادة فيهما مُقدَّران منويان فصارت بمنزلة ما هو من كلمتين.

والذي حسن التحقيق عنده لأنه الأصل، وزاده قوةً أن أكثر هذا النوع بعد الهمزة الثانية فيه ساكن، فلو خفَّف الثانية التي قبل الساكن لقرَّب ذلك من اجتماع ساكنين لا سيما على مذهب من يُبدل من الثانية ألقًا، فلما خاف اجتماع الساكنين حقَّق ليسلم من ذلك، ولأنه أتى بالكلمة على أصلها محقَّقةً، ولأنه لو خفَّف الثانية لكانت بزنتها مُحقَّقةً فالاستئصال في القياس مع التخفيف باقٍ، وهي قراءة أهل الكوفة وابن عامر (ت ١١٨هـ) ^(١).

وقد ذكر ابن جنى أن الهمزتين لا تلتقيان في كلمة واحدة. متابعًا بذلك سيبويه الذي يقول: (ليس من كلام العرب أن تلتقى همزتان فتحققا) ^(٢) ولذلك شذذ قراءة الكسائي (أئمة) حيث ذكر ذلك تحت باب عقده في الخصائص سماه: «باب في شواذ الهمز» قال فيه إنَّ (من شاذَّ الهمز عندنا قراءة الكسائي ﴿أئمة...﴾ ^(٣) [التوبة]. بالتحقيق فيهما فالهمزتان لا تلتقيان في كلمة واحدة) ^(٣). وإذا التقت فلا بُدَّ من إبدال الثانية على كل حال) ^(٤) هذا إذا كانت الهمزتان في كلمة.

أما إذا التقت الهمزتان في كلمتين فقد منع سيبويه تحقيق الهمزتين إذا التقتا، ونص على أن العرب تميل إلى تخفيف الأولى نحو: ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا...﴾ ^(١٨) [محمد]. ومنهم من يُخفف الثانية.

جاء في الكتاب: (فليس من كلام العرب أن تلتقى همزتان فتحققا، ومن كلام العرب تخفيف الأولى وتحقيق الآخرة وهو قول أبي عمرو وذلك قولك: ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا...﴾ ^(١٨) [محمد]، و﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ...﴾ ^(٧) [مريم].

(١) ينظر: الكشف ٧١/١ وما بعدها.

(٢) الكتاب ١٦٧/٢.

(٣) الخصائص ١٤٣/٣.

(٤) المنصف ٥٢/٢.

ومنهم من يحقق الأولى ويخفف الآخرة، سمعنا ذلك من العرب، وهو قولك: ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا...﴾ (١٨) [محمد]، و﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ...﴾ (٧) [مريم] وقال^(١): [من الرمل]

كل غراء إذا سا برزت ترهب العين عليها والحسد
سمعنا من يوثق به من العرب ينشده هكذا^(٢).

كما استشهد النحاة على تخفيف الهمزة الثانية ببيت الأعشى^(٣): [من البسيط]

أن رأيت رجلاً أعشى أضربه ريب المتون ودهر مفسد خبل
فالشاهد في البيت الأول، تخفيف الهمزة الثانية في قوله (غراء إذا) وجعلها بين بين لأنها مكسورة بعد فتحة فتجعل بين الهمزة والياء.

وكذلك الحال في بيت الأعشى، فقد استشهد به على تخفيف الهمزة الثانية من قوله (أأن) وجعلها بين بين، واستدلوا على أن همزة بين بين في حكم المتحركة، ولولا ذلك لانكسر البيت لأن بعد الهمزة نون ساكنة، فلو كانت الهمزة المخففة في الحكم ساكنة لالتقى ساكنان وذلك لا يجوز إلا في الشعر^(٤).

(١) لم يعرف قائله، ينظر: الكتاب ١٦٧/٢، وتحصيل عين الذهب ١٦٧/٢، والنكت في تفسير كتاب سيويه ٩٨٢/٢.

(٢) كتاب سيويه ١٦٧/٢. ط. بولاق.

(٣) الأعشى الأكبر ميمون بن قيس بن جندل الملقب بصنّاجة العرب، وفد على النبي ﷺ ومدحه. والبيت في معلقته. ينظر: شرح القصائد المشهورات ١٣٦/٢، ومعجم الشعراء ٤٠١ وكتاب سيويه ١٦٧/٢.

(٤) ينظر: كتاب سيويه ١٦٧/٢، وتحصيل عين الذهب ١٦٧/٢، وشواهد الشعر في كتاب سيويه ٢٥٧، ٤٠٢.

همزة بين بين:

قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ...﴾ [البقرة].

قرأ الجحدري وحده «سواء» بتخفيف الهمزة على لغة الحجازيين فيجوز أنه أخلص الواو، ويجوز أنه جعل الهمزة «بين بين» وهو أن يكون بين الهمزة والواو (١).

والهمزة بين فتحة وضمة مثل «سواء» تخفف «بين بين» قياساً، وهي لغة أهل الحجاز، والنطق بهمزة (بين بين) ظاهرة فاشية في كل البيئة الفصيحة البدوية والحضرية (٢).

ومن أجل الوصول إلى حقيقة النطق بهذه الهمزة، لا بد من الوقوف على نصوص القدماء، فهذا سيويه صاحب أقدم نص في وصفها -على ما نعلم- يقول فيها: (وتكون بزنتها محققة غير أنك تضعف الصوت ولا تتمه وتخفي، لأنك تقربها من الألف - في حالة بين الهمزة والألف... فكل همزة تقرب من الحرف الذي حركتها منه فإنما جعلت هذه الحروف بين بين ولم تجعل ألفات ولا ياءات ولا واوات؛ لأن أصلها الهمز فكرهوا أن يخففوا على غير ذلك) (٣).

وأضاف سيويه يعلل وهن الهمزة وضعفها، ويعزو ذلك إلى عدم إتمام الصوت أثناء النطق بها إضافة إلى تقربها من الساكن، فتضعف فيدخلها الوهن. فنص على ذلك يقول: (إنك لا تتم الصوت هاهنا ولا تضعفه، لأنك تقربها من الساكن ولولا ذلك لم يدخل الحرف وهن) (٤).

(١) ينظر: البحر المحيط ٤٥/١، والقراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ١٧٧.

(٢) ينظر: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ١٧٩-١٨٠.

(٣) الكتاب ٥٤١/٣-٥٤٢.

(٤) الكتاب ٥٤١/٣-٥٤٢.

وقد تابع ابن جنى سيبويه، وذكر أن هذه الهمزة وإن قربت من الساكن لكنها فى الحقيقة متحركة، وعلل ذلك قائلا: (ويدلك على أنها وإن كانت قد قربت من الساكن فإنها فى الحقيقة متحركة، أنك تعتدها فى وزن العروض حرفا متحركا وذلك نحو قول كثير^(١)): [من الطويل]

أَنَّ زُمَّ أَجْمَالٌ وَفَارِقَ جِيرَةٌ وَصَاحَ غُرَابُ الْبَيْنِ أَنْتَ حَزِينٌ؟
ألا ترى أن وزن قولك «أَنَّ زُمَّ» = فَعُولُنْ.

فالهمزة إذن مقابلة لعين «فَعُولُنْ» وهى متحركة كما ترى^(٢).

فأول صفات هذه الهمزة أنها بزنتها محققة كما مثلنا بوزن الشعر.

ومن خلال الكتابة الصوتية الآتية نتبين أن الهمزة متحركة غير ساقطة كما زعم بذلك الدكتور عبد الصبور شاهين الذى ذهب إلى أن: («بين بين»، يعنى فى الواقع سقوط الهمزة أساساً واتصال الحركتين قبلها وبعدها مباشرة)^(٣) متابعاً بذلك أستاذه الدكتور إبراهيم أنيس.

ولنا فى الكتابة الصوتية الآتية رد آخر رده الأستاذ الدكتور النعيمي على رأى الدكتور إبراهيم أنيس الذى ذهب فيه إلى أن (بين بين) قد تكون مصوتا. فالهمزة غير مصوت لأن المصوت لا يكون قاعدة لمقطع^(٤) وإنما المصوتات قمم.

/ء-ء- / ن = أن.

(١) كثير بن عبد الرحمن الخزاعي، شاعر بنى مروان، وصاحب عزة (ت ١٠٥هـ) ينظر المؤلف والمختلف فى أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم ١٦٩، ٣٥٠، ومعجم ألقاب الشعراء ١٩٦، للدكتور سامى مكى العانى.

(٢) سر صناعة الإعراب ١/ ٤٨، ٤٩، تح د. حسن هندارى، وينظر: الكلام على بيت الأعشى السابق.

(٣) القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث ١٠٥.

(٤) ينظر: محاضرات الدكتور حسان النعيمي التى ألقاها على طلبة الدراسات العليا، بكلية الآداب، جامعة بغداد، لعام ١٩٩٧-١٩٩٨م.

المبحث الثاني

الإدغام

الإدغام ينطق بسكون الدال عند الكوفيين، وبتشديدها عند البصريين، وذكر الخليل أنّ (التشديد علامة الإدغام)^(١) فيكون على الأول بوزن «إفعال» وعلى الثاني بوزن «افتعال»^(٢).

(والإدغام هو إدخال حرف في حرف)^(٣) أو (تقريب صوت من صوت)^(٤) في الحرفين اللذين تضع لسانك لهما موضعاً واحداً لا يزول عنه)^(٥).

والإدغام: أن تأتي بحرفين ساكن فمتحرك من مخرج واحد من غير فصل، ولا يكون ذلك إلا في المثلين أو المتقاربين^(٦).

وهو ظاهرة من ظواهر المماثلة يفنى فيها الصوتان المتجاوران فناء تاماً، ولذلك سماها المحدثون: *Completic Assimilation*.

أى: المماثلة الكاملة^(٧).

وقد ذكر ابن جنى أنّ اللسان قد نبا حرفين نبوةً واحدة ولكنهما بسبب النبوة الواحدة صارا كالحرف الواحد، وقد ذهب مذهب ابن جنى، الأستاذ الدكتور حسام النعيمي^(٨).

وعلى ابن يعيش الميل للإدغام، بأنه سعى للتخفيف (فلما كان تكرير الحرف كذلك في الثقل حاولوا تخفيفه بأن يدغموا أحدهما في الآخر، فيضعوا ألسنتهم

(١) العين ٤٩.

(٢) ينظر: شرح المفصل ١٠/١٢١، حاشية الصبّان ٤/٣٤٥، ودراسات صرفية ١٤٦.

(٣) التحديد ١٠٢، جمال القرآء ٢/٤٨٥.

(٤) الخصائص ٢/١٣٩، وينظر: الصرف الوافي ٢٨٢.

(٥) الكتاب ٢/٤٠٧.

(٦) ينظر: الشافية ٣/٢٣٣-٢٣٤، والمتع ٢/٦٣١.

(٧) ينظر: في البحث الصوتي عند العرب ٨١.

(٨) ينظر: الخصائص ٢/٤٩٦، والدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنى ٣٤٢.

على مخرج الحرف المكرر وضعةً واحدة ويرفعوها بالحرفين رفعة واحدة لثلا ينطقوا بالحرف ثم يعودوا إليه^(١)؛ لأنه عندما يدغم الحرفان يرتفع اللسان بهما ارتفاعاً واحدة، بينما هو في حالة الإظهار يرتفع ارتفاعتين^(٢). فالإدغام إذن: ظاهرة لغوية راقية تهدف إلى الوصول بالكلمة إلى أقصى درجات الخفة والسهولة^(٣).

وبناء على البعد والقرب بين الحروف في المخارج والصفات، قسّم العلماء الإدغام إلى ثلاثة أقسام:

١- إدغام التماثلين. ٢- إدغام المتقاربين. ٣- إدغام المتجانسين.
والحرفان المدغمان إما أن يتَّفقا مخرجاً وصفةً، وهو ما سُمي بالتماثلين أو أن يتَّفقا مخرجاً، ويختلفا صفةً، وهو إدغام المتجانسين، أو أن يتقاربا مخرجاً أو صفةً، أو مخرجاً وصفةً، وهو إدغام المتقاربين^(٤).

فالإدغام ضربٌ من التأثير الذي يقع في الأصوات المتجاورة إذا كانت متماثلة أو متجانسة أو متقاربة، ويقسم المحدثون تأثير الأصوات إلى نوعين:
الأول: تأثر مُقبل Progressive، ويعنى تأثر الصوت الثانى بالأول.
والثانى: تأثر مُدبر Regressive، ويعنى تأثر الصوت الأول بالثانى^(٥).
والإدغام عند القراء ضربان: كبير وصغير.

(أما الكبير فهو ما كان الأول من الحرفين فيه متحركاً)^(٦) أى أن الصامت الأول معه صائت قصير.

(١) شرح المفصل ١٠/١٢١.

(٢) ينظر: جمال القراء وكمال الإقراء ٢/٤٨٥، والموضح للمهدى ١٧.

(٣) اللهجات العربية في التراث ١/٣١٤، وينظر: الكشف ١/١٣٤.

(٤) ينظر: الكتاب ٢/٤٠٧، وشرح الشافية ٣/٢٣٤-٢٣٥.

(٥) ينظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية ١٢٦، والتطور النحوى ٢٩ وما بعدها، والتطور اللغوى، مظاهره وعلله وقوانينه ٢٢.

(٦) النشر ١/٢٧٤.

وأما الإدغام الصغير فهو عبارة عما إذا كان الحرف الأول منه ساكناً، أى أن الصامت الأول لا يفصله عن الثانى صائت^(١)، وقد وردت طائفة قليلة من قراءات الجحدري تمثل النوعين السابقين من الإدغام، وسنبداً بما قرأه بالإدغام الصغير.

أولاً: الإدغام الصغير:

١- قال تعالى:

﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٣٨) [البقرة].

قرأ الجحدري «هُدًى» بقلب الألف ياء وإدغامها فى ياء المتكلم، وهى قراءة النبى ﷺ وأبى الطفيل وعبد الله بن أبى إسحاق وعيسى بن عمر^(٢).

ووجه هذه القراءة (أنه قلب الألف ياءً وأدغمها فى ياء المتكلم؛ لأن ياء المتكلم لا يكون قبلها إلا مكسوراً، فجعل قلبها إلى الياء لأنها من جنس الكسرة)^(٣).

والذى يبدو أن هذه لغة فاشية فى هذيل وغيرهم، حيث إنهم يقبلون الألف من آخر المقصور إذا أضيف إلى ياء المتكلم - ياءً - قال الهذلى^(٤): [من الكامل] سَبَقُوا هَوَىَّ وَأَعْتَقُوا لَهُوَاهُمْ فَتُخِرْمُوا، وَلِكُلِّ جَنْبٍ مَصْرَعٌ وحكى ابن جنى عن قطرب (ت ٢٠٦هـ) قول المنخل اليشكرى^(٥): [من الوافر]

(١) اللهجات العربية ١٢٦.

(٢) البحر المحيط ١/١٦٩.

(٣) البيان فى غريب إعراب القرآن ١/٧٦.

(٤) أبو ذؤيب الهذلى، واسمه خويلد بن خالد بن محرث، الشاعر المشهور، والبيت فى المفضليات ٢٠١، وفى المحتسب ١/٧٦. وينظر المؤلف والمختلف ١١٩-١٢٠.

(٥) ابن مسعود بن عامر بن ربيعة بن عمرو اليشكرى، شاعر جاهلى، كان ينادم التعمان بن المنذر والبيتان فى المحتسب ١/٧٦، وينظر: المؤلف والمختلف ١٧٨، ومعجم الشعراء ٣٨٧.

يُطَوِّفُ بِي عِكَبٌ فِي مَعَدِّ وَيَطْعَنُ بِالصُّمْلَةِ فِي قَفَايَا
فَإِنْ لَمْ تَثَارَا لِي مِنْ عِكَبٍ فَلَا أُرَوِّتُ مَا أَبَدًا صَدِيًّا
يريد: قَفَايَا.

فلما لم يتمكنوا من كسر الألف قلبوها «ياء» فقالوا: هذه عَصِيٌّ، وهذا فتى، أى عَصَايَ، وفتَايَ، وشبهوا ذلك بقولك: «مَرَّتْ بِالزَّيْدِينَ» لما لم يتمكنوا من كسر الألف للجرجر قلبوها ياء^(١).

وقد وردت مثل هذه القراءة فى ستة مواضع هى: ﴿هُدَايَ... (٢٨)﴾ [البقرة]، و﴿وَمَحْيَايَ... (١٦٢)﴾ [الأنعام]، و﴿يَا بَشْرَى... (١٩)﴾ [يوسف]، و﴿مَثْوَايَ... (٣٢)﴾ [يوسف]، و﴿عَصَايَ... (١٨)﴾ [طه]، و﴿هُدَايَ... (١٢٢)﴾ [طه].

والذى يراه الدكتور النعمى (أن توخى السرعة فى النطق - وهو من صفات البداوة - هو الذى جعل هؤلاء يقلبون الألف ياءً ويدغمونها فى ياء المتكلم ليكون العمل والصوت من وجه واحد، ويتقل لسانهم نقلةً واحدة)^(٢).

٢- قال تعالى:

﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا... (١٢٨)﴾ [النساء]

قرأ الجحدري: «يُصْلِحَا» أراد «يَصْطَلِحَا» أى: «يفتعلًا» فأثر الإدغام فأبدل الطاء صادًا ثم أدغم فيها الصاد التى هى «فاء» فصارت «يَصْلِحَا»^(٣).

(والصاد من الحروف التى يدغم فيها ما قاربها، ولا تدغم هى فيما قاربها)^(٤). وقد تكلم القدماء عن صفات الأصوات ومخارجها وذكروا أن الصاد

(١) المحاسب ٧٦/١.

(٢) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنى ١٩٩.

(٣) ينظر: المحاسب ٢٠١/١، والعربية بين أمسها وحاضرها ٩٩.

(٤) الموضع للقرطبي ٩٨.

والطاء من حروف الإطباق والذي يتخذ اللسان معها شكلاً مقعراً عند النطق بها^(١).

ويرى بعض المحدثين (أن الذين قالوا: اصبر واصلح قد تجاوزت ألسنتهم عن الطاء وغلب عليها صوت الصاد لما فى الطاء من الشدة، فتحولوا إلى صوت رخو، فكان أن جرى على ألسنتهم قلب الشديد إلى رخو يناسب (الفاء)^(٥)، فأبدلوه من الصاد صاداً وأدغموا)^(٢).

والذى عليه علماء التجويد أن (ينقل الأضعف إلى الأقوى، إذا تقاربت المخارج ليقوى الكلام، فهذا هو الأكثر فى الأصل... وإذا نقل الأقوى إلى الأضعف ضعف الكلام)^(٣). فالموقع الأقوى هو الشرط الأساس للتأثير، ونعنى بقوة الموقع أن يكون الصوت متلوّاً بحركة غير قابلة للسقوط، إما لكونها طويلة، وإما لأن حركة سابقة عليها سقطت فامتنع إسقاط الأخرى لأنها تزداد تشبثاً بموقعها وتمنح الصوت قبلها قوة موقعية يفرض تأثيره على الصوت السابق عليه غير ذى الحركة^(٤).

وطبقاً لقانون المماثلة الذى ذكرناه سنقوم بمعالجة لفظة «يصلحاً» ضمن مظهر (الانطباق والانفتاح)، والذى هو أحد حالات المماثلة. فالفعل «صلح» المبدوء بأحد حروف الإطباق - الصاد - نقل إلى صيغة «افتعل» وتحول (التاء) فيها - وهو صوت منفتح - إلى نظيره، الطاء - المطبق - تحت تأثير مجاورته لصوت الصاد.

فصيغة: «صلح» تنقل إلى «اصتليح» فى صيغة «افتعل» ثم تصير بالمماثلة «اصتليح».

(١) ينظر: فقه اللغة ١٥٤، وينظر: فى البحث الصرفى عند العرب ٥٥.

(٥) يريد بها فاء الافتعال.

(٢) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنى ١٧٣.

(٣) الرعاية ١٨١، وينظر الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ٤٠١.

(٤) ينظر: المنهج الصوتى للبنية العربية ٢٠٨.

وقد علل ابن جنى ذلك (بأنه تقريب صوت من صوت قلب معه أحد الحرفين إلى لفظ صاحبه، ليدغم فيه)^(١).

ومعنى هذا أن يقلب الطاء صاداً ثم يدغم فى الصاد التى هى «الفاء» فيصلح «يصلحاً».

وهذه المماثلة «مقبلة» لتأثر الصوت الثانى بالأول وهى قليلة ونادرة الوقوع فى اللغة العربية.

ثانياً: الإدغام الكبير؛

١- قال تعالى:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ... ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة].

قرأ الجحدري: «يطهَرْنَ» بفتح الطاء والهاء مع تشديدها والأصل «يتطهرن» فسكن (التاء) وقلبها (طاء) وأدغمها^(٢).

(والتاء تدغم فى الطاء إذا جاءت بعدها)^(٣) والحرفان من مخرج واحد إلا أن «الطاء» مجهور عند القدماء^(٥) والتاء مهموس^(٤).

فمن قرأ بالتشديد أراد؛ حتى (يغتسلن)، وأصله (يتطهرن)، فاجتمعت، التاء والطاء؛ والتاء مهموسة والطاء مطبقة مجهورة، فكرهوا اجتماعهما، فأسكنوا التاء وأبدلوا منها طاء لقرب مخرجهما؛ وأدغموا الطاء فى الطاء.

(١) الخصائص ٢/ ١٤٠، سر الصناعة ١٦٠، وينظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنى ١٧٣.

(٢) ينظر: التبيان فى إعراب القرآن ١/ ٩٤.

(٣) الكتاب ٤/ ٣٧٤.

(٥) الطاء صوت مجهور عند القدماء مهموس عند المحدثين، وضابط الجهر والهمس عند القدماء جرى النفس وعدمه، وعند المحدثين اهتزاز الوترين الصوتيين وعدمه.

(٤) ينظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنى ١٧٣.

والحجة لمن خفف أراد ينقطع^(٥) دمهن^(١).

وبموجب قواعد الإدغام المعروفة، فقد أثر الطاء فى التاء لأن القوى من الحروف إذا تقدمه الضعيف مجاوراً له جذبته إلى نفسه إذا كان من مخرجه^(٢).

وطبقاً لقانون المماثلة، الذى سبق ذكره، فقد انقلبت التاء إلى نظيرها المطبق وهو الطاء حيث انتقلت من ضعف إلى قوة مكررة^(٣) فالمماثلة مدبرة.

ويرى سيبويه أن (الإدغام فى هذا أقوى... والبيان فيهما عربى حسن، لأنهما متحركان)^(٤).

وقد نسب هذا النوع من الإدغام إلى أبى عمرو بن العلاء البصرى الذى كان يقول: (الإدغام كلام العرب الذى يجرى على ألسنتها ولا يحسنون غيره)^(٥).

٢- قال تعالى:

﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ...﴾ (٢٨٤) [البقرة].

قرأ الجحدري: «يفغفر لمن» بإدغام الراء فى اللام.

ولا يجيز الخليل وسيبويه إدغام الراء فى اللام لثلا يذهب التكرير حيث قال سيبويه: (والراء لا تدغم فى اللام)^(٦).

(٥) وعلى هاتين القراءتين يبنى الخلاف بين الشافعى وأبى حنيفة فى جواز وطء الحائض إذا انقطع دمها لأكثر الحيض قبل الغسل، فأجازه أبو حنيفة ومنعه الشافعى. جاء فى اللباب - وهو كتاب فى الفقه الحنفى - (وإن انقطع دمها - أى: الحائض - لعشرة أيام جاز وطؤها قبل الغسل) لأن أكثر الحيض عند الأحناف عشرة أيام. انظر تفصيل ذلك فى اللباب فى شرح الكتاب ٤٨، ٤٩، أنوار التنزيل ١/ ١٢٠، وحاشية الصاوى على الجلالين ١/ ٩٦-٩٧.

(١) ينظر: الحجة ٧٢، ومعانى القرآن للفراء ١/ ١٤٣، البيان فى غريب إعراب القرآن ١/ ١٥٥.

(٢) ينظر: الرعاية ١٨٠، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد ٤٠٠.

(٣) ينظر: المحتسب ١/ ٥٩، والكشف ١/ ١٣٥.

(٤) الكتاب ٢/ ٤٢٥ بولاق.

(٥) النشر ١/ ٢٧٥.

(٦) الكتاب ٢/ ٤١٢ بولاق، وينظر: شرح المفصل ١٠/ ١٤٣، وتوجيه القراءات القرآنية فى كتب

معانى القرآن ١٥٦.

وتابعه على ذلك ابن يعيش عندما ذكر أن الراء لا تدغم إلا في مثلها، ولا تدغم في غيرها لثلا يذهب التكرير الذى فيها بالإدغام.

وقد أجاز الكسائى إدغام الراء فى اللام قياساً وحجتهم فى ذلك أن الراء إذا أدغمت فى اللام صارت لاماً، ولفظ اللام أسهل وأخف من أن تأتى به (راء) فيها تكرير وبعدها لام، وهى مقاربة للفظ الراء فيصير كالنطق بثلاثة أحرف فى موضع واحد^(١).

وذكر ابن الجزرى أن الراء تدغم فى اللام إذا تحركت بأى حركة، وذلك كله مروى جازئ للقراء^(٢).

واللام والراء صوتان لثويان، «فاللام» صوت لثوى متوسط مجهور منفتح و«الراء» صوت لثوى متوسط مجهور تكررارى منفتح، ويسمى بالتكرارى؛ لأن طرف اللسان فيه يطرق اللثة طرفتين أو ثلاثاً^(٣) وهذا عند المحدثين.

وروى عن أبى عمرو (ت ١٥٤هـ) - وهو بصرى - أنه أدغم الراء فى اللام فى قوله تعالى: ﴿فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ ورده الزمخشرى، وقال: (إنه لحن ونسبته إلى أبى عمرو كذب، وكيف يليق مثل هذا اللحن بأعلم الناس بالعربية)^(٤).

ورد أبو حيان على الزمخشرى الذى لحن قراءة أبى عمرو بن العلاء وعزا ذلك اللحن إلى قلة ضبط الرواة والذى كان سببه - على حد قول الزمخشرى - قلة الدراية والذى لا يضبطه إلا أهل النحو.

قال أبو حيان وهو يرد على الزمخشرى ويأخذ عليه كثرة الطعن على القراء واقتصاره على ما نقله البصريون دون الكوفيين والذين هم ليسوا أقل شأنًا من قراء

(١) ينظر: شرح الشافية ٣/٢٧٤، وشرح المفصل ١٠/١٤٣، والمتع فى التصريف ٧٢٥، والمبدع ٢٨٠.

(٢) ينظر: أبو عمرو بن العلاء وجهوده فى القراءة والنحو ٨٦، والنشر ١/٢٩٢.

(٣) ينظر: فقه اللغة ١٤٧، والوجيز، للأنطاكى ١٨٩، ١٩١.

(٤) الكشاف ١/٣٣٠.

البصرة فى قوة الضبط وكثرة الدراية حيث كانوا أئمة فى النحو والقراءات قال :
وذلك على عادته فى الطعن على القراء؛ وأما ما ذكره أن مدغم الراء فى اللام
لاحن مخطئ خطأ فاحشاً... فهذه مسألة اختلف فيها النحويون، فذهب الخليل
وسيويه... إلى أنه لا يجوز إدغام الراء فى اللام من أجل التكرير الذى فيها.

.....
ولسان العرب ليس محصوراً فيما نقله البصريون فقط، والقراءات لا تجيء
على ما علمه البصريون ونقلوه، بل القراء من الكوفيين يكادون يكونون مثل قراء
البصرة.

وقد اتفق على نقل إدغام الراء فى اللام كبير البصريين ورأسهم؛ أبو عمرو
ابن العلاء، ويعقوب الحضرى، وكبراء أهل الكوفة؛ الرؤاسى والكسائى والفراء
وأجازوه ورووه عن العرب فوجب قبوله والرجوع فيه إلى علمهم ونقلهم إذ: من
علم حجة على من لم يعلم.

وأما قول الزمخشري أن راوى ذلك عن أبى عمرو مخطئ مرتين؛ فقد تبين
أن ذلك صواب، والذى روى ذلك عنه الرواة ومنهم أبو محمد اليزيدى، وهو إمام
فى النحو إمام فى القراءات إمام فى اللغات^(١).

والغريب أن الزمخشري بهذا رد قراءة سبعية قرأ بها إمامان من أئمة النحو
والقراءات، وعلمان من أعلام اللغة؛ أبو عمرو بن العلاء البصرى، وعلى بن
حمزة الكسائى؛ والقراء أجل من أن يخطئوا، وحيث إنهم هم أدق الناس فى
رواياتهم وأحرصهم على سلامة النقل، فقد تلقوا القراءة مشافهة من أفواه الرجال
متصلة السند إلى رسول الله ﷺ.

ولما أجاز الكسائى والفراء «إدغام الراء فى اللام قياساً»، واحتجوا لها فقد
ذكر ابن الجزرى: (أن ذلك كله مروى جائر للقراء)^(٢).

(١) ينظر: البحر المحيط ٢/٣٦١ وما بعدها.

(٢) النشر ١/٢٩٢.

٣- قال تعالى:

﴿يَسْأَلُونَ عَنْ آيَاتِكُمْ...﴾ [الأحزاب].

قرأ الجحدري: «يساءلون» بالتشديد وإدغام التاء فى السين حيث إن أصلها «يتساءلون» فأدغم التاء فى السين (لقربها من المخرج. وأدغمت التاء فى السين ولم تدغم السين فى التاء لأن فى السين زيادة صوت، لأنها من حروف الصفيير)^(١).

وقد وصف المحدثون هذين الصوتين؛ «فالتاء» عندهم صوت أسنانى لثوى شديد مهموس منفتح، و«السين» صوت أسنانى لثوى رخو مهموس منفتح، فهما مشتركان فى كل الصفات إلا أن الأول شديد والثانى رخو^(٢).

وقد عرف سيبويه الصوت الشديد بأنه: (الذى يمنع الصوت أن يجرى فيه، وعن الرخو قال: وذلك إذا قلت الطس، وانقض، وأشبه ذلك أجريت فيه الصوت إن شئت، وقد اشترك الصوتان بصفة الهمس؛ ولذلك قوى الإدغام بينهما)^(٣) (فيدغم الأنقص صوتاً فيما هو الأزيد صوتاً، ولا يدغم الأزيد صوتاً فيما هو الأنقص صوتاً، لأنه يؤدى إلى الإجحاف به، ويبطل ما له من الفضل على مقاربه)^(٤).

وبناء على مفهوم المماثلة فإن صوت «السين» قد أثر فى صوت «التاء» فجذبته إليه، ففنى «التاء» فيه فناء تاماً، فالمماثلة مدبرة إذن لتأثر الصوت الأول بالثانى.

(١) البيان فى غريب إعراب القرآن ١/ ٢٤٠.

(٢) ينظر: فقه اللغة ١٤٩، والوجيز للإنطاكى ١٨٦-١٨٧.

(٣) الكتاب ٢/ ٤٠٥-٤٠٦، وينظر: الموضح ٨٩، وفى البحث الصوتى ٤٦.

(٤) البيان فى غريب إعراب القرآن ١/ ٢٤٠.

المبحث الثالث

التغاير

وهذا مصطلح اقترحه، ونريد به ما قرأه الجحدري مغايراً للمشهور من قراءة عاصم، بلفظ يفترق عن المشهور بصوت صامت أو بمصوت، ولم أستعمل لفظ الإبدال لأن له مفهوماً اصطلاحياً لا يدخل تحته ما نحن بصدده، فالتغاير بين الصاد والضاد في «قبصت وقبضت» مثلاً، هو مغايرة بين صوت صامت وآخر مثله، ولا نرى في نحو هذا إبدالاً.

وقد رأينا الجحدري قد غاير بين الصوامت التي هي من أصوات الحلق، فقد قرأ: «عزة» «غرة» في قوله تعالى: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ (ص). [ص].

فقد غاير بين العين والغين، وهما صوتان مجهوران رخوان.

ولما كان مصطلح الإبدال أعم من التغاير وأشمل؛ لذا تكلم عليه القدماء، وعرفوه في كتبهم بتعاريف عديدة وعلى رأس هؤلاء العلماء: «سيبويه» الذي نص على أن الإبدال: ظاهرة صوتية من ظواهر اللغة العربية، وسنة من سنن العرب في كلامهم^(١)، ويكون ذلك بإقامة حرف مكان حرف آخر غيرهِ لدفع الثقل؛ إما ضرورة وإما صنعة واستحساناً^(٢).

والإبدال في اللغة مصدر قولك: أبدلت كذا من كذا، إذا أقمته مقامه. وهو في اصطلاح الصرفيين؛ جعل حرف مكان حرف آخر مطلقاً ويقع عندهم في اثني عشر حرفاً جمعها أبو علي القالي (ت ٣٥٦هـ) بعبارة (طال يوم أنجدته).

وهذا ما لا نعينه هنا، ومحلّه مباحث الصرف، إلا أن الذي يعيننا في هذا المبحث هو (الإبدال اللغوي) والذي يريد به المحققون من علماء اللغة: إقامة حرف

(١) الكتاب ٤/٤٧٩، وانظر الصحابي ٢٠٣، ومن أسرار اللغة ٧٠.

(٢) ينظر: شرح المفصل ٥٧/١٠، وشرح الشافية ١٩٧/٣، والتعريفات ١٣.

مكان حرف مع الإبقاء على سائر أحرف الكلمة^(١)، على أن الأصل في الإبدال أن يكون فيما تقارب وتداني من الحروف، وهذا قائم على اختلاف اللغات، والغرض منه إرادة الخفة والمجانسة، ويقع هذا النوع من الإبدال في حروف كثيرة^(٢) لذا قال ابن الضائع (ت ٦٨٠هـ) (قلما نجد حرفاً إلا وقد جاء فيه الإبدال ولو نادراً)^(٣).

والكلمات التي فسرت على أنها من الإبدال حيناً، أو من تباين اللهجات حيناً آخر جاءت نتيجة التطور الصوتي، فالكلمة ذات المعنى الواحد حين تروى لها المعاجم صورتين أو نطقين ويكون الاختلاف بين الصورتين، لا يتجاوز حرفاً من حروفها يمكن تفسيره على أن إحدى الصورتين أصل والأخرى فرع لها أو تطور عنها؛ والتطور محكوم بوجود علاقة صوتية بين الحرفين المبدل والمبدل منه من قرب في الصنعة أو قرب في المخرج^(٤).

(ولا تعد هذه الظاهرة حكراً على اللغة العربية بل هي ظاهرة شائعة بين اللغات)^(٥).

فالذي يراد من عملية الإبدال هو التقريب بين صوتين متجاورين والتخفيف على الناطق بأن لا يتكلف أثناء النطق ولا يبذل جهداً، ومما لا شك فيه أن الإبدال كثير ولا يحصره ضابط^(٦).

(١) ينظر: أبو عثمان المازني ١٣٦، والإبدال لأبي الطيب ٩/١، والأمالى للقالى ١٩٦/٢، ودراسات صرفية ٤.

(٢) ينظر: سر الصناعة ١/١٩٧، والموضح للمهدوى ١١٧، والمشكلات اللغوية في القراءات القرآنية ١٩٣.

(٣) المزه ١/٤٦١. وينظر: توجيه القراءات القرآنية في كتب معانى القرآن ٣١٦.

(٤) ينظر: من أسرار اللغة ٧٥، وتاريخ آداب العرب ١/١٨٤-١٨٥، وينظر: الأضداد في اللغة، د. محمد حسين آل ياسين ٢٥ وما بعدها.

(٥) ينظر: الأصوات اللغوية ١٧٩، لهجة أسد ٨٧.

(٦) الترادف في اللغة ٢٨٦.

ومن وقوفنا على المصادر المتيسرة تمكنا من رصد مجموعة يسيرة من قراءات الجحدري التي غاير فيها بين الصوامت، ومجموعة أخرى وقعت فيها المغايرة بين الصوائت. منها:

التغاير في الصوامت:

١- قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَضَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ... ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف].

قرأ الجحدري: «فضلناه» بالضاد المنقوطة، والمعنى فضلناه على جميع الكتب عالين بأنه أهل للتفضيل عليها^(١).

أما قراءة «فضلناه» أى بيناه بالأخبار والوعد والوعيد أو بينا معانيه من العقائد والأحكام والمواعظ مفصلة^(٢).

والتغاير بين (الصاد والضاد) واقع في القراءات، فالقبضة غير القبضة في لغة العرب وفي قراءة من قرأ: ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ... ﴿٩٦﴾﴾ [طه]. فقبضت قبضة بالصاد.

والصاد صوت مهموس رخو ومخرجه من بين طرف اللسان وفوق الثنايا العليا والضاد مجهور مطبق ومخرجه عند سيبويه من بين طرف اللسان وما يليه من الأضراس^(٣).

٢- قال تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ... ﴿٥٧﴾﴾ [الأعراف].

(١) ينظر: الكشاف ١٠٩/٢، والبحر المحيط ٣٠٦/٤، وحاشية الصاوي على الجلالين ٧٢/٢.

(٢) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٣٤١/١، وحاشية الصاوي على الجلالين ٧٢/٢.

(٣) ينظر: الكتاب ٤٠٥/٢ بولاق، وسر الصناعة ٥٣/١، وفقه اللغة ١٥٠، والأصوات اللغوية

قرأ الجحدري: «نشرا» بضم النون وسكون الشين وتوين الراء. وخفف (العين) كما خفف في «كتب» و«رسل»^(١).

قال ابن جنى: (أما «نشرا» فتخفيف «نشرا» في قراءة العامة، والتثقيل أفصح؛ لأنه لغة الحجازيين، والتخفيف في نحو ذلك لتميم)^(٢).

والذي حصل في هذه القراءة أنه غاير بين الباء والنون فالباء (صوت شفوي شديد مجهور منفتح ومخرجه من الشفتين)^(٣) والنون صوت لثوي متوسط مجهور أنفي منفتح ومخرجه عند سيويه من طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا^(٤).

ثانياً: التغيرات في المصوت القصير:

أ - ما قرأه بالضم:

(١) ما قرأه بضم الفاء:

١ - قال تعالى:

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً...﴾ [الروم].

قرأ الجحدري: بضم الضاد في الثلاثة المواضع في هذه الآية، ومما يمكن أن يقوى قراءة الجحدري هذه ما روى عن حفص أنه قال: (ما خالفت عاصما في شيء مما قرأت به عليه إلا في ضم هذه الثلاث كلمات)^(٥).

والضم والفتح مصدران، وهما لغتان، كالفقر والفقر^(٦).

(١) ينظر: مجاز القرآن ٢١٧/٢ هامش ٣، والتفسير الكبير ١٣٨/١٤، والقراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ٢٥٠.

(٢) المحتسب ٢٥٥/١، وينظر: المجتبى ٣٧.

(٣) الكتاب ٤٠٥/٢، فقه اللغة ١٤٩، وينظر: الأصوات اللغوية ١٣٣.

(٤) ينظر: الكتاب ٤٠٥/٢، وفقه اللغة ١٥١، والوجيز ١٩٢، والأصوات اللغوية ١٣١.

(٥) إعراب القرآن ٢٧٨/٣، الكشف ١٨٦/٢، وينظر قراءة شعبة ٦٥.

(٦) الكشف ١٨٦/٢، البحر المحيط ٥١٨/٤، أدب الكاتب ٤٢٤.

قال الشالبي (ت ٤٢٩هـ) «الضعف» بالفتح؛ في الرأى وبالضم في الجسد^(١) وقد ذكروا أن الفتح لغة تميم، والضم لغة الحجاز^(٢).

٢- قال تعالى:

﴿فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ﴾ [الواقعة].

قرأ الجحدري: «رُوح» بضم الراء.

فمن قرأ بالفتح فمعناه الفرح، أو فله استراحة وبرد^(٣).

ومن قرأ بضم الراء، فعلى معنى الرحمة، لأنها كالسبب لحياة المرحوم، وقيل البقاء، وقيل حياة دائمة في الجنة لا موت معها^(٤).

ذكر العكبري (ت ٦١٦هـ) أن الفتح مصدر، والضم اسم له^(٥).

وذكر ابن منظور (ت ٧١١هـ) أن المراد (بالروح) الذى يقوم به الجسد وتكون به الحياة، وقد نص على أن الروح والنفس واحد، غير أن الروح مذكر والنفس مؤنثة عند العرب^(٦).

وقيل: (الرُّوح بالفتح: برد النسيم، والرُّوح: الراحة)^(٧).

٣- قال تعالى:

﴿وَأَنَّهُ لَأَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن].

(١) الجامع لأحكام القرآن ٤٦/١٤، البحر المحيط ٥١٨/٤.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٤٦/١٤، والبحر المحيط ٥١٨/٤.

(٣) مجاز القرآن ٢٥٣/٢، وينظر: إعراب النحاس ٣٤٥/٣، والكشاف ٤٧٠/٤، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل ٤٦٤/٢.

(٤) ينظر: معانى القرآن للفراء ١٣١/٣، وإعراب القرآن للنحاس ٣٤٥/٣، وقراءة يعقوب الحضرمي ٤٨.

(٥) التبيان فى إعراب القرآن ٢٥٥/٢.

(٦) لسان العرب مادة (روح)، وينظر: قراءة يعقوب الحضرمي ٤٨.

(٧) المثلث: للبطلوسى ٤٤/٢.

قرأ الجحدري «لبدا» بضم اللام والباء .

قال ابن جنى أن (هذا من الأوصاف التي جاءت على «فعل» كرجل «طلق» وناقاة «سرح»)^(١) .

وقال الزمخشري: (و «لبدا» بضم اللام وتشديد الباء المفتوحة وبها قرأ «صبر»)^(٢) .

وقرأ الجحدري كذلك «لبدا» بضم اللام وتشديد الباء المفتوحة وبها قرأ الحسن البصرى .

وقد وجه ابن جنى هذه القراءة وذكر أن هذا وصف على «فعل» ونحوه: الزمل^(٣) . وذكر أن «اللبد» الكثير يركب بعضه بعضاً، حتى يتلبد من كثرتة^(٤) .

وقال بعضهم يجوز أن يكون «لبد» جمع «لابد» فيكون مثل: «راكع» و«ركع»^(٥) .

ب - ما قرأه بالكسر:

(١) كسر الفاء:

١ - قال تعالى:

﴿طَعَامٌ مِّسَاكِينَ أَوْ عَدَلٌ ذَلِكُ صِيَامًا ...﴾ [المائدة: ٩٥]

قرأ الجحدري: «عدل» بكسر العين .

وقرأ الجمهور «عدل»: (والفرق بينهما أن «عدل» الشيء ما عادله من غير جنسه، كالصوم والإطعام .

(١) المحتسب ٢/ ٣٣٤، وينظر: مجمع البيان ١٠/ ٣٧٠ .

(٢) الكشاف ٤/ ٦٣٠ .

(٣) الزمل: الجبان الضعيف، كأنه سمي بذلك؛ لأنه يتزمل بشيابه فينام، المنجد ٦/ ٣٠٦ .

(٤) ينظر: المحتسب ٢/ ٣٣٤ .

(٥) ينظر: مجمع البيان ١٠/ ٣٧٠، وينظر: الظواهر اللغوية في قراءة الحسن البصرى ٧٠ .

وعدله: ما عدل به فى المقدار، ومنه عدلا الحمل، لأن كل واحد منهما عدل بالآخر حتى اعتدلا، كأن المفتوح تسمية بالمصدر، والمكسور بمعنى المفعول به كالذبح (*) ونحوه، ونحوهما الحمل والحمل^(١).

جاء فى أدب الكاتب: (و«عدل الشيء» مثله و«عدل الشيء» زنته)^(٢).

٢- قال تعالى:

﴿وَاحْفَظْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ...﴾ [٢٤] [الإسراء ٢٤].

قرأ الجحدرى: «الذُّلُّ» بكسر الذال.

وقرأ الجمهور «الذُّلُّ» بضم الذال، وهو ضد العز.

فمن قرأ بالكسر؛ فعلى الاستعارة فى الناس، لأن ذلك يستعمل فى الدواب فى ضد الصعوبة كما أن «الذل» بالضم فى ضد الغير من الناس، وبقراءة الكسر قرأ ابن عباس وابن وثاب^(٣).

ف «الذل» ضد الصعوبة، و«الذل» ضد العز، ويستعمل الأول فى الدابة والثانى فى الإنسان، فيقال: دابة ذلول بينة الذل إذا لم تكن صعباً، ورجل ذليل بين الذل^(٤).

٣- قال تعالى:

﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ ...﴾ [٢٣] [الزخرف].

قرأ الجحدرى: «إمة» بكسر الهمزة. وبها قرأ مجاهد وقتادة وعمر بن عبدالعزيز.

(*) الذبح: مصدر ذبحت و«الذبح» المذبوح، أدب الكاتب: ٢٤٠.

(١) الكشاف ٦٧٩/١.

(٢) أدب الكاتب ٢٣٩.

(٣) ينظر: التبيان ٢/٩٠، البحر المحيط ٦/٢٨.

(٤) ينظر: أدب الكاتب ٢٤٣، ومجمع البيان ٦/٤٠٨.

وقراءة الجمهور على «أمة» بضم الهمزة.

قال مجاهد (ت ١٠٣هـ) وقطرب (ت ٢٠٦هـ) على ملة، وقال الجوهري (ت ٣٩٣هـ) والأدلة الطريقة، والذي يقال: فلان لا أمة له أى: لا دين له ولا نحلة^(١).

قال الشاعر^(٥): [من الطويل]

..... وهل يستوى ذو أمة وكفور

وذكر النحاس أن هذه القراءة هي التي عليها اجتماع الحجة واللغة المعروفة وحجتهم قول الله تعالى:

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً...﴾ [البقرة: ٢١٣] . أى: على دين واحد^(٢).

أما من قرأ: «إمة» بالكسر، فعلى معنى الطريقة الحسنة، وهي لغة في «الأمة» بالضم^(٣).

وقال بعضهم: «الإمة» النعمة، والدين: «إمة» و«أمة»^(٤).

ج- ما قرأه بالفتح:

(١) فتح الفاء:

١- قال تعالى:

﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًا﴾ [مريم: ٧٢]

قرأ الجحدري: «ثُمَّ» بفتح الثاء، أى: هناك.

(١) ينظر: البحر المحيط ١١/٨ .

(٥) لم أقف على قائله .

(٢) ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٨٥/٣ .

(٣) البحر المحيط ١١/٨ .

(٤) أدب الكاتب ٢٤٩، ٤٣٤ .

وقرأ الجمهور «ثم» بحرف العطف، وهذا يعنى أن الورد عام^(١)، ف (ثم) بالضم (حرف عطف يفيد الترتيب والتراخي)^(٢).

و«ثم» بفتح الثاء وتشديد الميم، إشارة إلى مكان متراخ^(٣) (وهو اسم إشارة يشار به إلى المكان البعيد، وهى ظرف لا يتصرف ولا يتقدمه حرف تنبيه ولا يتأخر عنه كاف الخطاب)^(٤).

وبقراءة «الفتح» قرأ ابن مسعود وابن عباس وابن أبي ليلي^(٥).

٢- قال تعالى:

﴿قَالَ يَا بُرُؤْمُ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي...﴾ [٩٤] [طه].

قرأ الجحدري: «بلحيتي» بفتح اللام، وهى لغة أهل الحجاز^(٦).

وقد ذكر ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) أن ما جاء على «فعلة» فيه لغتان؛ «فعلة» بفتح الفاء وسكون العين، و«فعلة» بكسر الفاء وسكون العين^(٧).

وقيل: أن فتح اللام لغة، وقد قرئ بهما، أى: بالفتح والكسر^(٨).

٣- قال تعالى:

﴿وَزَلْزَلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب].

قرأ الجحدري: «زكزالا» بفتح الزاى.

وكذا قرأ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة].

(١) ينظر: البحر المحيط ٦/ ٢١٠.

(٢) معانى النحو ٣/ ٢٣١.

(٣) حروف المعانى ٩.

(٤) حاشية الدسوقي على معنى اللبيب ١/ ١٢٩.

(٥) ينظر: الكشاف ٣/ ٣٦.

(٦) ينظر: الكشاف ٣/ ٨٤.

(٧) أدب الكاتب ٤٣٣.

(٨) التبيان فى إعراب القرآن ٢/ ١٢٦.

وقد ذكر الصرفيون أن مصادر غير الثلاثي قياسية أى: يقاس مصدر فعل منه على آخر ويكون قياسه على «فعللة» أما إذا كان الرباعي المجرد مضعفاً؛ أى: فاؤه ولامه الأولى من جنس، وعينه ولامه الثانية من جنس فإن مصدره يكون على وزن: «فعللة» أو «فعلال» مثل: زلزل زلزلة وزلزالا^(١).

وذكر أبو حيان أن مصدر «فعل» من المضاعف يجوز فيه الكسر والفتح نحو: قلقل قلقالا.

وقد يراد بالمتفوح اسم الفاعل، فـ «صلصال» بمعنى «مصلصل» واسم الفاعل - كما يقول النحاة - يدل على الحدث والحدوث وفاعله^(٢).

وقد جاء فى شذا العرف: إذا فتح أول مصدر المضعف فالكثير أن يراد اسم الفاعل نحو قوله تعالى: ﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ [الناس]. أى: الموسوس^(٣).

أما فى غير المضعف فهو سماعى، وما سمع منه على «فعلال» مكسور الفاء نحو: سَرَهَفَ سِرْهَافًا^(٤).

(٢) فتح العين:

١ - قال تعالى:

﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ ...﴾ [المائدة].

قرأ الجحدري: «النَّصَب» بفتح النون والصاد، وهو اسم بمعنى المنصب؛ «كالقَبْض» و«النَّقْض» بمعنى المقبوض والمنقوض^(٥).

(١) ينظر: الرضى على الشافية ١٥/١، والمتع ١٥١/١، وعمدة الصرف ١٨، ٢١، وإزالة القيود ٣١، والصرف للضامن ١٢٩.

(٢) ينظر: البحر المحيط ٢١٧/٧، وشرح التصريح ٦٥/٢، معانى الأبنية ٤٦.

(٣) ينظر: شذا العرف فى فن الصرف ٧٢.

(٤) ينظر: البحر المحيط ٢١٧/٧، وشذا العرف ٧٢.

(٥) التبيان فى إعراب القرآن: ٢٠٧/١.

وقراءة الجمهور: «النُّصْب» وهو واحد الأَنْصَاب، والأَنْصَاب الحجارة التي كانوا يعبدونها^(١).

وقيل: هي الأصنام، وسميت نُصْبًا لأنها تُنْصَب وتُرْفَع لِتُعْظَم وتُعْبَد^(٢).
وقرأ كذلك في سورة «ص»: (بَنْصَب) في قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص].

وأجمع القراء على ضم النون، إلا ما رواه حفص عن عاصم بالفتح، وهما لغتان معناهما، ما يُصيب البدن من تعب الضر وألم الوجع^(٣).

«وَالنُّصْبُ» ما نُصِب، وحجتهم قوله تعالى:

﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصْبٍ يُوفِضُونَ﴾ [المعارج].

أما «النَّصَب» فهو التعب، واحتجوا بقوله عز وجل: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ [الكهف]^(٤).

٢- قال تعالى:

﴿وَرَوَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا...﴾ [العنكبوت].

قرأ الجحدري: «حَسْنَا» بفتحتين.

وقراءة الجمهور «حُسْنَا» بضم الحاء وإسكان السين.

وقد وجه ابن جنِّي قراءة الجحدري «حَسْنَا» فقال: (تحمّل اللغة أن تكون «حَسْنَا» هنا مصدرًا، كالمصادر التي اعتقب عليها، «الفُعْل» و«الفَعْل» نحو: «الشُّغْل» و«الشَّغْل» و«البُخْل» و«البِخْل») ^(٥).

(١) ينظر: مجاز القرآن ١/١٥٢، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١/٢٥٤.

(٢) ينظر: حاشية الصاوي على الجلالين ١/٢٥٠.

(٣) الحجة لابن خالويه ٢٧٩ [ورواية حفص في المصحف الذي بين أيدينا لا تخرج عن إجماع القراء].

(٤) أدب الكاتب ٢٤٣.

(٥) المحتسب ٢/٢٦٥، وينظر: الظواهر اللغوية في قراءة أهل الحجاز ٦٤.

(وقد انتصب «حَسَنًا» على أنه مصدر وُصِفَ به مصدر. وصيّننا: أى إيصاءً حَسَنًا، أى: ذا حُسْنٍ أو على سبيل المبالغة، أى: هو فى ذاته حَسَنٌ)^(١).

ما قراه بالاسكان:

(١) قال تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي الْأَخْصَامَ﴾ [البقرة].

قرأ الجحدري: «وهو» بسكون الهاء.

والوجه فى قراءة الجحدري أن الهاء لما توسطت مضمومة بين واوين نُقِلَ ذلك والعرب تميز التحريك والتسكين فى أصوات الحلق^(٢)، فضلاً أن الهاء لما اتصلت بما قبلها من - واو - وكانت لا تنفصل عنها صارت كالكلمة الواحدة، فَخَفَّفَتِ الكلمة وأسكن الوسط فصارت تشبه فى ذلك لفظة «عَضْدَ» التى مالت العرب إلى تخفيفها فقالت: «عَضْدَ» وهى لغة مشهورة مستعملة^(٣).

والقبائل البدوية التى تميل إلى السرعة فى النطق والاقتصاد فى المجهود العضلى هى التى تميل إلى التخفيف كبنى تميم، وأسد وبعض قبائل نجد^(٤).

إسكان هاء الكناية:

قرأ الجحدري بإسكان هاء الكناية فى موضعين فقط:

قال تعالى:

١- ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ ...﴾ [٧٥] [آل عمران].

٢- ﴿لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ ...﴾ [٧٥] [آل عمران].

وقد يكون هناك علتان لإسكان «الهاء» فى هذين الحرفين.

(١) البحر المحيط ١٤٢/٧.

(٢) ينظر: معانى القرآن للفراء ١١٢/٢، المعنى فى توجيه القراءات ١٢١.

(٣) ينظر: اللهجات العربية فى التراث ٢٤٢/١، والمعنى فى توجيه القراءات ١٢١.

(٤) ينظر: اللهجات العربية فى القراءات القرآنية ١٦٣، والظواهر اللغوية فى قراءة الحسن البصرى

الأولى: لما جزمت هذه الأفعال حذفت الياء من أواخرها فصارت (الهاء) في موضع لام الفعل، فحلت محلها فأسكنت كما تسكن لام الفعل للجزم - إلا ترى أنهم قالوا: لم يَقْرَ فلان القرآن فحذفوا حركة الهمزة للجزم، فأبدلوا من الهمزة الساكنة أَلِفًا لانفتاح ما قبلها ثم حذفوا أيضاً الألف للجزم، كذلك حذفوا الياء قبل الهاء للجزم وأسكنوا «الهاء» للجزم إذا حلت محل ياء الفعل.

الثانية: من العرب من يسكن (هاء الكناية) إذا تحرك ما قبلها، فيقولون: ضربته ضرباً شديداً، يحذفون صلتها ويسكنونها، كما يفعلون بميم الجمع في: «أنتم، وعليكم» يحذفون صلتها ويسكنونها وهو الأكثر في الميم، فالهاء إضمار والميم إضمار فجرى مجرى واحداً في جواز الإسكان وحذف الصلة وهي في الميم كثير وعليه جماعة القراء في الميم، وقد كان يجب أن يكون الحذف مع الهاء أقوى منه مع الميم لأن صلة (الميم) من الأسماء يُضمر وصلة «الهاء» إنما هي تقوية، فإذا حَسُنَ حذف ما هو أصل فحذف ما هو غير أصل أقوى^(١).

وذهب المهدي إلى أن من أسكن «الهاء المتصلة بالفعل المجزوم إنما شَبَّهها بياء المتكلم، من حيث كانت كل واحدة منهما ضميراً، فأسكنوها تشبيهاً بياء المتكلم»^(٢).

وللعلماء آراء أخرى في تسكين هاء الكناية منها:

أولاً: إنه من أسكن الهاء توهم أنها لام الفعل، لكونها آخرًا، فأسكنوها للجزم أو للبناء.

ثانياً: إنه أسكن على نية الوقف.

ثالثاً: إن تسكين الهاء هو لغة لبعض العرب، فقد حكى سيبويه أن بعض العرب يقولون: (هذه أمةُ الله)^(٣).

(١) ينظر: الكشف ١/٣٤٩-٣٥٠.

(٢) الموضح للمهدي ٣٣٣.

(٣) ينظر: الكتاب ٣/٢٨٥، ٤/١٩٨، والكشف ١/٤٧١، والموضح ٣٣٣.

المبحث الرابع الإمالة

الإمالة: (عدول بالألف عن استوائه وجنوح به إلى الياء فيصير مخرجه بين مخرج الألف المفخمة وبين مخرج الياء)^(١).

وهو المقصود بالإمالة عند إطلاقه في كتب اللغة والقراءات ويقابلها الفتح.

والفرق الصوتي بين الإمالة والفتح أن الألف الممالة صوت لِين نصف ضَيِّق، أما الألف غير الممالة - في حالة الفتح - فصوت لِيْن نصف مَتَّع^(٢).

وذكر سيويه أن الخليل سماها «الإجناح»^(٣).

وقد ذكر السحاة أن الغرض من الإمالة؛ تقريب الألف نحو الياء والفتحة نحو الكسرة فهي لتقريب الصوت من الصوت^(٤).

وقد تابع المحدثون القدماء في تقسيم الإمالة إلى صغرى وكبرى، ووضعوا لها مقاييس ورموزاً دولية^(٥)، ومن حرص على استعمال الرمز النربى الدكتور التهامي الراجحي الهاشمي ولكنه مع ذلك حدّد مواضع الإمالة العربية على النظام المعياري العالمي برموزه اللاتينية ولم يضع رمزاً عربياً للإمالة.

والذي نراه ونغيل إليه هو ما رآه الدكتور حسام النعيمي وهو يحاول التخفيف عن الرموز بعض الثقل الذي أصابها، وهو يقول: (ونحن نرى أنّ في اصطناع الرسم العربي ما يتفق وخصوصية لغتنا، بل إنّنا نرى في ذلك ما يُخفّف عنه هذه الرموز بعض الثقل مما كان دى سوسور (ت ١٩١٣م) قد شكّا منه^(٦)).

(١) شرح المفصل ٥٤/٩.

(٢) في البحث الصوتي عند العرب ٧٨.

(٣) الكتاب ٢٧٨/٣، وينظر: في البحث الصوتي ٧٨.

(٤) ينظر: الكتاب ١١٧/٤، والخصائص ١٤١/٢، والكشف ١٦٨/١، والتطور النحوي ٥٩، ونحو

القرآء الكوفيين ٢٥٥.

(٥) الإمالة في القراءات القرآنية ٦٧، ٦٨، دراسة الصوت اللغوي ٢٧٥.

(٦) أصوات العربية بين التحول والثبات ١٠١، وينظر علم اللغة العام ٥٢.

وقد وضع النعيسى رموزاً للصوائت الطويلة والقصيرة كما وضع الرمز /لا/ لصوت إمالة الألف فى نحو: ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا...﴾ (٤١) [هود].

علل الإمالة:

ويرى العلماء أن الأصل فى الكلام الفتح، والإمالة تدخل فى بعض اللغات لعلّة. والعلل الموجبة للإمالة فى مذاهب القراء علتان تتفرع منها خمس علل. والعلتان: «الياء والكسرة» والعلل الخمس:

أولاً: أن تكون الإمالة فى ألف منقلبة عن ياء.

ثانياً: أو فى ألف مشبهة بالألف المنقلبة من ياء.

ثالثاً: أو تكون الألف قد ترجع إلى الياء فى بعض الأحوال.

رابعاً: أو يكون قبل الألف كسرة تُمال الألف من أجلها.

خامساً: أو الإمالة للإمالة^(١).

وقد أجمل مكى القيسى هذه العلل وجعلها ثلاثاً^(٢):

أولاً: الكسرة.

ثانياً: ما أميل ليدل على أصله.

ثالثاً: الإمالة للإمالة.

وبالرجوع إلى المصادر المتيسرة لدينا تمكنا من رصد أربع إمالات أمالها الجحدري؛ اثنتين منها فى الاسم واثنتين فى الفعل. **إمالاته فى الاسم؛ وذلك فى موضعين فقط:**

١- قال تعالى:

﴿قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتَكَ عَلَىٰ النَّاسِ...﴾ (١٤٤) [الأعراف].

(١) الموضح للمهدوى ١٩٢، وينظر: الجمل للزجاجى ٣٩٤، واللمع فى العربية ٣٢٧ وما بعدها.

(٢) ينظر: الكشف ١/ ١٧٠.

قرأ الجحدري «يا موسى» بالإمالة.

«فموسى» أصلها الياء وأميل لتدل إمالته على أصله^(١).

والغريب أن الجحدري لم يُملِ «موسى» في غير هذا الموضع، ولم تُسَعِفنا المصادر التي وقفنا عليها بشيء عن ذلك ولا عن علته.

٢- قال تعالى:

﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ...﴾ [٦] ﴿[مريم].

قرأ الجحدري: يَرِثُنِي «وارث» بكسر الواو^(٢).

جاء في معرض كلامنا عن الإمالة، ذكرُ العلل الموجبة لها وبيننا العِلَلِ الأصلية والفرعية وقلنا إذا كان قبل الألف كسرة؛ فتُمال الألف من أجلها، وقراءة «وارث» يعنى به الإمالة المحضة لا الكسر الخالص^(٣).

وقد ذكر ابن يعيش أن (الكسرة إذا كانت متقدمة على الألف كانت أدعى للإمالة منها إذا كانت متأخرة، وذلك أنها إذا كانت متقدمة كان في تقدمها تسفل بالكسرة ثم تصعد إلى الألف، وإذا كانت الكسرة بعد الألف كان في ذلك تسفل بعد تصعد، والانحدار من عالٍ أسهل من الصعود بعد الانحدار وإن كان الجميع سبباً للإمالة)^(٤).

إمالته في الفعل:

١- قال تعالى:

﴿وَأَنْ خِفْتُمْ أََلْأَنْتُمْ فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ...﴾ [٣]

[النساء].

(١) غيث النفع ٢٢٩.

(٢) مختصر في شواذ القراءات ٨٣.

(٣) ينظر: البحر المحيط ١٨٣/٦.

(٤) شرح المفصل ٥٦/٩.

قرأ الجحدري: «طاب» بالإمالة، وهى قراءة ابن أبي إسحاق والأعمش.
وفى مصحف أبي «طيب» وهو دليل الإمالة^(١).

وقد ذكر مكى القيسى ثلاث علل لإمالة «طاب» وأخواتها من تنطبق عليها
هذه العلل:

أولاً: أن ينكسر أولها عند الإخبار عن المتكلم فتقول: «طِبتُ».
ثانياً: عينها أصلية.

ثالثاً: العين فى المستقبل مكسورة، فقويت الإمالة فيها لاجتماع هذه العلل
الثلاث^(٢).

والألف المتوسطة إن كانت فى «فِعْلٌ» يقال فيه «فَعَلْتُ» كـ «طاب» و«خاف»
أميلت ولم يُنظر إلى ما انقلبت عنه.

وكذلك إذا كانت عيناً، فلا تخلو من أن تكون من واوٍ أو ياءٍ، فإذا كانت
منقلبة من ياء ساغت الإمالة فيها فى اسمٍ كانت أو فعل^(٣).

٢- قال تعالى:

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَايَ مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا...﴾ [النور].

قرأ الجحدري «زكى» بالإمالة.

وهذا ما أصل ألفه الثانى الواو ثم ترجع إلى الياء فى الرباعى، وأمال ذلك؛
ليدل على أن الألف قد صارت فى حكم ما أصله الياء^(٤).

جاء فى المفصل: (والألف الآخرة لا تخلو من أن تكون فى اسم أو فعل
وأن تكون ثالثة أو فوق ذلك فالتى فى الفعل تُمال كيف كانت... والألف إذا

(١) ينظر: البحر المحيط ١٦٢/٣.

(٢) ينظر: الكشف ١٧٥/١، وينظر توجيه القراءات القرآنية فى كتب معانى القرآن ٢٦٠.

(٣) ينظر: شرح المفصل ٥٨/٩.

(٤) الكشف ١٧٧/١-١٧٨.

كانت في آخر الكلمة فلا تخلو من أن تكون منقلبة عن واو أو ياء، فإن كانت منقلبة من ياء في اسم أو فعلٍ فإمالتها حسنة. . . وإن كانت من الواو: «فإن كانت فعلاً جاءت الإمالة فيه على قبح نحو قولك «غزا، دعا، عدا»؛ لأن هذا البناء قد يُنقل بالهمزة إلى «أفعل» فيصير واوه ياءً؛ لأن الواو إذا وقعت رابعة، صارت ياءً نحو: أغزيت، وأدعيت فنقول: أغزى وأدعى، بالإمالة. وأيضاً فإنه قد يُبنى لما لم يُسمَّ فاعله فيصير إلى الياء نحو: «غزى» و«دعى» فتخيلوا ما هو موجود في الحكم موجوداً في اللفظ»^(١).

وكذلك الحال في «زكى»، أفلا ترى أنك تقول: «زكوت وأزكيت» فَتُسَبِّتُ الواو إذا كانت ثالثة، وتُرجع «الياء» في موضعها إذا كانت رابعة^(٢).

وقال ابن جنى: «ما زكاً بالإمالة؛ من الواو لقولهم فيه: «زكوت» «تزكو» فأُمِلت أَلْفُهُ، فإن كان من الواو من حيث كان فعلاً - والأفعال أقعد في الاعتلال من الأسماء من حيث كانت كثيرة التصرف وله وُصعت، والإمالة ضربٌ من التصرف، ولو كان اسماً لم تحسن إمالته حُسْنها في الفعل، وذلك نحو: «العفا» و«السنا»^(٣).

(١) شرح المفصل ٥٧/٩.

(٢) الكشف ٢٠٧/١.

(٣) المحاسب ١٠٥/٢.

المبحث الخامس

تغير الصائتة بالإختلاس والإشباع

الاختلاس هو: «الإتيان بثلاثي الحركة»^(١). وهو عند علماء التجويد: (عبارة عن الإسراع بالحركة إسراعاً يحكم السامع به أنّ الحركة قد ذهبت، وهي كاملة في الوزن)^(٢).

فحقّ المختلس حركته أن يُسرّع اللفظ به إسراعاً يظنّ السامع معه أنّ حركته قد ذهبت من اللفظ لشدة الإسراع، وهي تامة في الوزن كاملة في اللفظ إلا أنها لم تُمطّط ولم تُرسل فحفي إشباعها ولم يتبين تحقيقها^(٣).

والاختلاس والإشباع ظاهرتان صوتيتان جاءتا في كلام العرب، ولكلي منهما ما يُسوِّغه، فقد يُراد من الاختلاس التخفيف أو الفاصلة أو لأجل التقاء الساكنين.

وقد استعملت بعض اللهجات العربية القديمة تقصير صوت المدّ في سياقات عامة وكأنّ ذلك صار عادة نطقية لها وهذه الظاهرة تعزى إلى تميم وكثير من أهل نجد^(٤).

أما من حيث الجواز وعدمه، فقد اختلف النحاة في جواز حذف واختلاس الحركات فذهب الفراء وأبو علي الفارسي إلى جواز ذلك، وقال ابن مالك في جوازه: «إنّ أبا عمرو حكاه عن لغة تميم، بينما نقل السيوطي الجواز في الشعر والمنع في الاختيار»^(٥).

وقد اختلس الجحدري في موضعين هما:

(١) المجتبى ٢١.

(٢) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ٥١٢.

(٣) الموضح للقرطبي ١٩٢.

(٤) ينظر: في الأصوات اللغوية ٢٩٤، ولهجة تميم ١٤٨.

(٥) لهجة تميم ٣٨، ٣٩، وينظر: دراسة الظواهر اللغوية والنحوية في كتاب الكنز ٥٤.

١ - قال تعالى :

﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾ [الأحزاب].

قرأ الجحدري «الظُّنون» بغير ألف في الوصل والوقف وهو القياس^(١).

والحجة لمن حذفها؛ أن هذه الألف إنما تثبت عوضاً من التنوين في الوقف، ولا تنوين مع الألف واللام في وصلٍ ولا وقف.

وحجة مَنْ أثبتها وصلأً ووقفأً: أنه اتبع خط المصحف لأنها ثابتة في السواد^(٢).

وذهب بعض العلماء إلى أن مَنْ حذف الألف في الوصل فإنه أتى به على الأصل إذ لا أصل للألف فيه، وفرق ما بين هذا والقوافي أن القوافي موضع وقف وسكون وهذا لا يلزم فيه الوقف والسكون.

وقال أيضاً أن مَنْ حذف الألف في الوقف، فإنه أجرى الوقف مجرى الوصل فحذف في الوقف كما حذف في الوصل؛ لأنّ الألفات فيها لا أصل لها، وإنما جيء بها على التشبيه بالقوافي والفواصل. والاختيار عنده إثبات الألف في الوصل والوقف اتباعاً للمصحف^(٣).

فالألف جاءت للإطلاق من الفتحة في قوله تعالى «الظُّنون».

ومن خلال الكتابة الصوتية الآتية يمكن أن نرى أنّ الصائت الطويل من الآية «الظُّنوناً» تحول بعد الاختلاس إلى صائت قصير، فعلى قراءة (حفص) مع بقاء الألف تكون القراءة مكوّنة من:

صامت + صائت قصير + صامت + صائت طويل + صامت + صائت طويل

ظ + و + ن + و + ن + و //

(١) الكشاف ٣/٥٢٧.

(٢) الحجة لابن خالويه ٢٦٣، وينظر: الكشاف ٢/١٩٥.

(٣) ينظر: الكشاف ٢/١٩٥.

وبالاختلاس تكون هكذا:

صامت + صائت قصير + صامت + صائت طويل + صامت + صائت قصير

ظ + و + ن + وو + ن + /

أى تكون على هذه الصورة:

/ ظُ | نُ | نُ | / | قبل الاختلاس.

/ ظُ | نُ | نُ | / | بعد الاختلاس.

٢- قال تعالى:

﴿خَيْرًا يَرَهُ (٧) ... شَرًّا يَرَهُ (٨)﴾ [الزلزلة].

قرأ الجحدري «يَرَهُ» (باختلاس الحركة)^(١).

وبالاختلاس تكون قراءة الجحدري مكونة من:

صامت + صائت قصير + صامت + صائت قصير + صامت + صائت قصير

ي + عَ + ر + عَ + ه + عَ

وهى فى قراءة حفص مكونة من:

صامت + صائت قصير + صامت + صائت قصير + صامت + صائت طويل

ي + عَ + ر + عَ + ه + عَ

/ يَ | رَ | هُ | / | بعد الاختلاس.

/ يَ | رَ | هُ | / | قبل الاختلاس.

أما الإشباع فهو؛ أداء الحركات كوامل غير منقوصات ولا مُختلصات،
والعرب ربما احتاجت فى إقامة الوزن إلى حرف مُجتَلَب ليس من لفظ البيت،
وهذا إنما يأتى من إشباع الحركات إشباعاً يتولد منه حرف يجانس تلك الحركة

(١) مجمع البيان ١٠/٢٢٥.

ويُلائمها، فعند إشباع الفتحة يتولد من بعدها ألف، وإشباع الكسرة يتولد من بعدها ياء، وإشباع الضمة يتولد من بعدها واو^(١).

ولقد جاء في كتب الضرائر الشعرية أن ذلك في الشعر ضرورة وقد مثّلوا للواو المتولدة من إشباع الضمة بقول الشاعر^(٢): [من البسيط]

اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّا فِي تَلَفُّتِنَا يَوْمَ الْفِرَاقِ إِلَى أَحِبَابِنَا صُورُ
وَأَنْتَى حَوْثَمَا يَشْنَى الْهَوَى بَصْرَى مِنْ حَوْشَمَا سَلَكُوا أَدْنُو فَاَنْظُورُ

فالواو في «أنظور» حاصلة من إشباع الضمة، وأصله «أنظر»، وقد قرأ الجحدري بالإشباع في موضع واحد، وكان بالضم.

١- قال تعالى:

﴿وَقَالُوا يَا صَالِحُ أَتِنَّا ...﴾ (٧٧) [الأعراف].

قرأ الجحدري: «يا صالح أوتنا» «بهمزة وإشباع ضم»^(٣).

فقد أشبع الضمة بعد الهمزة حتى صارت واواً، وقد أطلق اللغويون على هذا التحول في الدرجة من غير تغيير في المعنى مصطلح (مطل الحركات)^(٤).

والذي حصل أنه أشبع «الصائت القصير» (الضمة) ليصبح «صائتاً طويلاً» (واواً)، وهذا ما عبر عنه القدماء بخاصة «إشباع الحركة»^(٥).

وما هذه القراءة إلا عدول من صيغة إلى صيغة أخرى، فقد عدل من صيغة «أوتنا» إلى صيغة «أوتنا».

(١) ينظر: سر صناعة الإعراب ٢٧/١، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد ٥٢٤.

(٢) ابن هرمة، والبيت في سر صناعة الإعراب ٢٩/١-٣٠، وفي خزانة الأدب ١٢١/١، ٧/٧، وينظر: الضرائر للآلوسي ٢٨٣-٢٨٤، والقراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ٢٠٣؛ والدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ٢٣٢.

(٣) البحر المحيط ٣٣١/٤، وينظر: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ٢٠٠.

(٤) دراسة في أصوات المد العربية ٢٩٦، وينظر: الخصائص ١٢١/٣.

(٥) القراءات القرآنية في ضوء اللغة الحديث ٢٠٢.

والذى حصل فى هذه القراءة هو إطالة (الصائت القصير) وبذلك تحول المقطع الأول من «طويل مغلق» قبل الإشباع إلى «طويل مفتوح» بعد الإشباع.

وبالإشباع تكون قراءة الجحدري مكوّنة من:

طويل مفتوح + قصير + طويل مفتوح

/ ءَ | تِ | انْ /

وهى فى قراءة «حفص» مكوّنة من:

طويل مغلق + قصير + طويل مفتوح

فهو إما:

/ ءِ | تِ | انْ /

وإما:

/ اِ | صِ | ا | حِ | انْ /

المبحث السادس بياءة الإضافة

١- الفتح والإسكان:

ذهب بعض العلماء إلى أن الأصل في ياء الإضافة الحركة؛ لأنها اسم على حرف واحد، ولا ينطق باسم على حرف واحد ساكنًا، فحركت لتقوى بالحركة واختير لها الفتح لأنه أخف الحركات، (ولأن الياء إذا انضمت أو انكسرت أعلّوها بالحذف والقلب، والإسكان في ياء الإضافة إنما هو تخفيف، وأجازوا إسكانها استخفافًا لأن الياء ثقيلة فإذا تحركت ازداد ثقلها)^(١).

وذهب آخرون إلى أن الإسكان هو الأصل، لأنها أى - ياء الإضافة - حرف مبنى والسكون هو الأصل في البناء.

ويضاف إلى مزايا التسكين السابقة مزية أخرى تتعلق بطول المقطع الصوتي وقصره، ففي حالة تسكين الياء، يُختصر الكلام وفي حالة الفتح يطول، مما يُشكّل ثقلًا واضحًا على الجهاز النطقى حين النطق.

والفتح والإسكان في ياء الإضافة من التغييرات الصوتية العائدة إلى اختلاف اللهجات، فالفتح من ظواهر لهجة الحجاز، والإسكان من ظواهر لهجة تميم وأسد وهذيل^(٢).

والجحدري كغيره من القراء قرأ بإسكان ياء الإضافة تارة ويفتحها أخرى، وجاءت قراءته بالفتح في مواضع قليلة منها:

أولاً: ما قرأه بالفتح:

١- قال تعالى:

﴿قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ...﴾ (١١٢) [الأنبياء].

(١) ينظر: الموضح للمهدوى ٢٦١، والكشف ١/٣٢٤.

(٢) ينظر: الرسالة العدوية في البياءات الإضافية، الدراسة ١٧٠.

قرأ الجحدري «رَبِّي»^(١) «أَحْكَمُ» بإثبات الياء وفتحها.

ومن خلال الكتابة الصوتية الآتية لكلمة (رَبِّي) سيظهر لنا الاختلاف بين حالتى الفتح والإسكان.

/رَبَّ ب | ب | ب / فى حالة الإسكان.

/رَبَّ ب | ب | ب | اى / فى حالة الفتح.

ففى حالة الإسكان الأولى حصلنا على مقطعين:

طويل مغلق + طويل مفتوح

أما فى حالة فتح الياء فيتكون عندنا ثلاثة مقاطع:

طويل مغلق + قصير + قصير

وبعملية الفتح هذه يكون المقطع الثانى قد انشطرت قمته إلى (مصوت قصير

ونصف مصوت) وزدنا الفتحة - المصوت القصير - فيكون التشكيل المقطعى:

/رَبَّ ب | ب | ب /

ي + مُجْتَلِبَةٌ

/رَبَّ ب | ب | ب | اى /

(١) مختصر فى شواذ القراءات ٩٣.

ثانياً: ما قرأه بالتسكين:

قرأ عاصم الجحدري بتسكين ياء الإضافة في موضعين فقط هما:

رقم الآية	الموضع	قراءة الجحدري	المصادر
١٨	سورة طه	عَصَايُ	المحتسب: ٤٩/٢، الكشاف البحر المحيط، ٥٣٣/٢ ٢٣٤/٦.
	قَالَ هِيَ عَصَايَ		
٥٦	سورة طه	يا عِبَادِي	تخريج التيسير ١٥٦

أما عن الحذف والإثبات، فلقد أثبت الجحدري الياءات الزوائد ولم نقف - فيما وقفنا عليه من مصادر - أنه حذف شيئاً منها، ذلك لأن الأصل في ياء الإضافة الإثبات في الوصل والوقف وهو لغة أهل الحجاز.

أما الحذف فيها فلغة للعرب مشهورة، ويحذفون للاستخفاف؛ وذلك لدلالة الكسرة التي قبل الياء عليها، ولسكونها^(١).

(١) ينظر: الكشاف ١/٣٣٢-٣٣٣، والموضع للمهدوي ٢٩٧، والمجتبى في تخريج قراءة أنى عمر الدوري ١٨.

المبحث السابع التثقيب والتخفيف

إنَّ شدة الأصوات وخفتها متفاوتت نسبتها تبعاً لتفاوت الظروف والبيئات، فالتشديد عند قبيلة ما قد يكون تخفيفاً عند أخرى والعكس صحيح.

والتشديد سمة من سمات نطق القبائل البدوية التي تميل إلى شدة الأصوات في نطقها (وهذا أمر طبيعي يلائم ما عرف عن البدو من غلظة وجفاء في الطبع)^(١)، وهم لما كانوا يعيشون في الصحارى المترامية، وهذه الصحارى يفنى فيها الصوت ويذوب في جنباتها، فلا تكاد تتضح؛ لذا حرص هذا البدوى على تونسيح أصواته حتى تسمع ولجأ إلى هذا بطرق شتى، منها: الجهر، والتفخيم، والشدة.

(أما القبائل المتحضرة فقد سارت على عكس ذلك في لهجاتها، فقد مالت إلى خفة النطق وسهولة الأداء حيث ينسجم ذلك مع بيئتهم وطبيعتهم)^(٢).

وطبقاً لما قرره النحاة من أن كل زيادة في المبنى تؤدي إلى زيادة في المعنى فلذلك يعنى أن صيغة «فَعَلَّ» ليست كصيغة «فَعَلَ».

قال سيويه: (تقول: كَسَرْتُهَا وَقَطَعْتُهَا، فإذا أردت كثرة العمل قلت: كَسَرْتُه وَقَطَعْتُهُ وَمَزَّقْتُهُ... واعلم أن التخفيف في هذا جائز، كلّه عربى)^(٣).

والتشديد كما نُسِبَ إلى بنى تميم وسفلى قيس وربيعة، والتخفيف لأهل الحجاز وقريش نُسِبَ كذلك إلى قريش مقابل التخفيف في ألفاظ أخرى لتميم^(٤).

وسأعرض لما قرأه الجحدري بالتشديد أولاً ثمَّ لما قرأه بالتخفيف:

(١) وفي اللهجات العربية ١٠٠.

(٢) ينظر: اللهجات العربية في التراث ٦٥٧/٢، وينظر: في اللهجات العربية ١٠٦.

(٣) كتاب سيويه طبعة بولاق ٢٣٧/٢، وكتاب سيويه ط هارون ٦٤/٤.

(٤) ينظر: البحر المحيط ٩٨/٨، ولهجة تميم ١٧٠، ولهجة قبيلة أسد ١٨٨.

أولاً: التثقيب والتخفيف:

أ - ما قرأه بالتثقيب:

١- قال تعالى:

﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ...﴾ (١٨٥) [البقرة].

قرأ الجحدري «وَلِتُكْمِلُوا» بفتح الكاف وتشديد الميم المكسورة، وهما لغتان يقال أكملتُ العدد وكمّلتُه، وهو كقوله: ﴿فَمَهْلِ الْكَافِرِينَ أَهْمَلَهُمْ رُوَيْدًا﴾ (١٧) [الطارق].

والذي يقوّى التشديد أنّ فيه معنى التأكيد والتكرير.

أما التخفيف، فالذي يُقوّيه عندهم إجماعهم على قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...﴾ (٣) [المائدة].

ويرى (مكي) أنّ التخفيف أولى لحفته، ولأن إجماع القراء عليه، ولإجماعهم على «اليوم أكملت»^(١).

٢- قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ (٥١) [الحج].

قرأ الجحدري: «مُعَجِّزُونَ» (بالتشديد، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو)^(٢).

فمن قرأ بالتشديد فقد حمله على معنى «مُثَبِّطِينَ» أي: يُثَبِّطُونَ الناس على اتباع النبي ﷺ، أي: يُثَبِّطُونَهُمْ عن ذلك ويؤخرونهم عن ذلك، وهو بمعنى: يحببون إليهم ترك اتباع النبي ﷺ^(٣).

(١) ينظر: الكشف ١/٢٨٣، والظواهر اللغوية في قراءة الحسن البصري ٦٤.

(٢) الكشف ٢/١٢٢، مجمع البيان ٧/٨٩.

(٣) الكشف ٢/١٢٢-١٢٣.

وقال الطبرسي: (ومُعْجِزِينَ، ينسبون مَنْ تبع النبي ﷺ إلى العجز، نحو: جهلته نسبه إلى الجهل)^(١).

أما من قرأ بالألف «مُعْجِزِينَ»، فعلى معنى مشاقين الله، وقيل: معناه معاندين الله، وقيل: معناه مسابقين الله، والمعنى: أَنَّهُمْ ظَنُّوا أَنَّهُمْ يَعْجِزُونَ اللَّهَ، وقيل: يفوقونه فلا يقدر عليهم وذلك باطل من ظَنُّهم، وهو الاختيار، لأن الأكثر عليه، فالتشبيط والتعجيز خاص، لأنه في نوع واحد وهو الإبطاء عن رسول الله ﷺ والعناد عام؛ لأنه يدخل فيه الكفر^(٢).

٣- قال تعالى:

﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم].

قرأ الجحدري: «ما كَذَّبَ» مشدداً، وهي قراءة الحسن وقتادة^(٣).

قال الفراء: (يجوز أن يكون أراد صاحب الفؤاد)^(٤)، وأجاز أن يكون معنى «ما كَذَّبَ» «صدق» أو يكون معناه (ما كَذَّبَ قلب محمد ﷺ ما رآه بعينه تلك الليلة بل صدقَه وحققَه)^(٥).

ومَنْ قرأ بالتخفيف فمعناه: ما كذب فؤاده فيما رأى، و«كَذَّبَ» فِعْلٌ يتعدى إلى مفعوله بدلالة قول الشاعر^(٦): [من الكامل]

كَذَّبَتْكَ عَيْنُكَ أَمْ رَأَيْتَ بَوَاسِطِ
غَلَسَ الظَّلَامِ مِنَ الرُّبَابِ خِيَالَا

(١) مجمع البيان ٨٩/٧.

(٢) ينظر: الحجة لابن خالويه ٢٣٠، والكشف ١٢٣/٢.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٢٦٣/٣.

(٤) معاني القرآن للفراء ٩٦/٣.

(٥) مجمع البيان ١٧٤/٩.

(٦) غياث بن غوث التغلبي المعروف بالأخطل، شاعر أموي، عاصر جرير والفرزدق، والبيت منسوب له في خزانة الأدب ١٩٥/٦، وينظر: المؤلف والمختلف ٢١، ومعجم ألقاب الشعراء

ومعنى كَذَّبْتَكَ عَيْنَكَ: أرتك ما لا حقيقة له، فعلى هذا يكون المعنى: «لم يكذب فؤاده ما أدركه بصره، أى: كانت رؤيته صحيحة غير كاذبة، وإدراكاً على الحقيقة ويشبه أن يكون الذى شدّد أراد هذا المعنى وأكّده» (١).

٤- قال تعالى:

﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ...﴾ (٢) [الحشر].

قرأ الجحدري: «يُخْرِبُونَ» (بالتشديد على معنى التكثير للخراب من «خَرَبَ يُخْرِبُ»).

وحكى سيبويه أن «فَعَلَّ» يكون بمعنى «أَفَعَلَ» (٢) كما قال (٣): [من الطويل]

..... وَمَنْ لَا يُكْرِمُ نَفْسَهُ لَا يُكْرِمُ
 (وَمَنْ شَدَّدَ أَرَادَ يُهْدِمُونَهَا، وَيُنْقِصُونَهَا، تَقُولُ الْعَرَبُ: خَرَبْنَا الْمَنْزِلَ إِذَا هَمَّ هَدْمُوهُ وَإِنْ كَانُوا فِيهِ مَقِيمِينَ).

والحجة لمن خَفَّفَ أنه أراد يرحلون ويخلونها، تقول العرب: أخربنا المنزل إذا هم ارتحلوا عنه وإن كان صحيحاً (٤).

وعلى قراءة التخفيف من «أَخْرَبَ - يُخْرِبُ»، يقال: «خَرَبْتُهُ وَأَخْرَبْتُهُ» لغتان بمعنى «الهدم».

وقال أبو عمرو: (أخربت الموضع، تركته خراباً وخربته وهدمته) (٥).

(١) مجمع البيان ١٧٤/٩.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣٨٦/٣.

(٣) البيت بتمامه:

وَمَنْ يَغْتَرِبْ يَحْسَبْ عَدُوًّا صَدِيقَهُ وَمَنْ لَا يُكْرِمُ نَفْسَهُ لَا يُكْرِمُ

وهو من معلقة زهير بن أبي سلمى، شاعر جاهلي عُمُرٌ طويلاً، ينظر: شرح القصائد المشهورة الموسومة بالمعلقات لابن النحاس (ت ٣٣٨هـ) ١/١٢٣، وينظر: المؤلف والمختلف ١٣٠.

(٤) الحجة لابن خالويه ٣١٦.

(٥) الكشف: ٢/٢١٦، وينظر: مجمع البيان ٩/٢٥٦.

ب- ما قرأه بالتخفيف:

١- قال تعالى:

﴿وَعَزَّوهُ وَنَصَرُوهُ...﴾ (١٥٧) [الأعراف].

قرأ الجحدري: «وَعَزَّوهُ» بتخفيف الزاي، بمعنى (أثنوا عليه ومدحوه) وحكى أبو حيان عن الزمخشري أنه قال: (منعوه حتى لا يقوى عليه عدو)^(١).
وقال ابن جني: (مشهور اللغة في ذلك: عَزَّرْتُ الرجل، أي: عظَّمته، وهو مُشَدَّدٌ، وقد ذكر أنهم قالوا: عَزَّرْتُ الرجلَ عن الشيء - بتخفيف الزاي - إذا منعتَه عن الشيء، فقد يجوز أن يكون «وَعَزَّوهُ» على هذه القراءة، أي: منعوه وحجزوا ذكره عن السوء)^(٢).

والتعزير في كلام العرب التوقير، والتعزير: النصر باللسان والسيف وأصل التعزير المنع والرد، فكأن مَنْ نصرته قد رددت عنه أعداءه ومنعتهم من أذاه؛ ولهذا قيل للتأديب الذي هو دون الحدّ «تعزير» لأنه يمنع الجاني أن يعاود الذنب^(٣).
وقال الزجاج: (العزْر في اللغة: الردُّ، وتأويل عَزَّرْتُ فلانًا، أي: فعلتُ به ما يردُّه عن القبيح ويزجرُه عنه) فهو لا يرى أن التعزير بمعنى التوقير حيث قال: (ولو كان التعزير هو التوقير لكان قوله: ﴿وَتَعَزَّوهُ وَتَوَقَّرُوهُ...﴾ [٩] [الفتح]، تكراراً)^(٤).

٢- قال تعالى:

﴿كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ...﴾ (١) [هود].

قرأ الجحدري: «فُصِّلَتْ» بفتح الفاء وتخفيف الصاد.

(١) البحر المحيط ٤/٤٠٤، وينظر: الكشاف ١٦٦/٢.

(٢) المحتسب ٢٦/١، وينظر: الكشاف ١٦٦/٢.

(٣) ينظر: لسان العرب مادة (عزر).

(٤) التفسير الكبير ١١/١٨٦.

ومعنى «فَصَلَّتْ» أى: فَرَّقَتْ بين الحقِّ والباطل، وهى على تسمية الفاعل
أى: (أحكمتها أنا ثم فَصَلَّتْها)^(١).

قال ابن جنِّي: (معنى فَصَلَّتْ، أى: صَدَّرَتْ وانفَصَلَّتْ عنه ومعها وهو
كقولك: قد فَصَلَ الأمير عن البلد. أى: سار عنه)^(٢).

٣- قال تعالى:

﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًا﴾ [٧٢] ﴿مريم﴾.

قرأ الجحدري: «نُنَجِّي» (بإسكان النون وتخفيف الجيم وهى قراءة
الكسائي)^(٣).

(وهو من «أنجى» ومن شَدَّدَ جعله من «نَجَّى» وكلاهما بمعنى، واللغتان فى
القراءتين كثير)^(٤).

وقد وردت القراءتان اللغتان فى القرآن الكريم، فبالتشديد جاء قوله تعالى:
﴿فَنَجِّنَاهُ وَأَهْلَهُ...﴾ [٧٦] ﴿الأنبياء﴾.

وبالتخفيف جاء قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أُنجَيْنَاكُمْ...﴾ [١٤١] ﴿الاعراف﴾.

وأصل الفعل «نجا» ثم يُشَقَّلُ للتعدية بالهمز أو التشديد، فالهمزة فيه
كالتشديد فى تعديته.

وعلى هذا فالقراءتان متعادلتان غير أن التشديد فيه معنى التكرير والتكثير
للفعل على معنى (نجاة بعد نجاة)^(٥).

(١) ينظر: الكشاف ٢/٢٧٧، والتبيان فى إعراب القرآن ٢/٣٤، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل
٤٤٩/١.

(٢) المحتب ١/٣١٨.

(٣) البحر المحيط ٦/٢١٠.

(٤) الكشاف ٢/٩١.

(٥) الكشاف ١/٤٣٥، ٢/٩١، والموضح للمهدى ٣٩٤.

٤- قال تعالى:

﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾ (٤٥) [الحج].

قرأ الجحدري: «مُعَطَّلَةٌ» مخففاً، يقال: عَطَلْتُ البئرَ وأَعَطَلْتُهَا فَعَطَلْتُ هِيَ - بفتح الطاء، وعَطِلْتُ المرأةَ من الحلي، بكسر الطاء^(١).

قال ابن جنِّي: (ينبغي أن يكون ذلك على (عَطَلْتُ) أو (أَعَطَلْتُ) أو (عَطَلْتُ) فهي عاطِلٌ، وأَعَطَلْتُهَا فهي (مُعَطَّلَةٌ).

فيكون منقولاً من ثلاثي على «فَعَلْتُ» أو «فَعَلْتُ». والفتح أولى بالعين فيه من الكسر؛ لأن «عَطِلَ» يقال للمرأة إذا عَطِلَتْ من الحلي، كما قال في ضده: حَلَيْتُ فِيهَا حَالِيَةً^(٢).

وذكر الزمخشري: أن (معنى «المُعَطَّلَةَ» أنها عامرة فيها الماء ومعها آلات الاستسقاء إلا أنها عَطَلَتْ أي: تُرِكَتْ لا يُسْتَقَى منها لِهَلَاكِ أَهْلِهَا)^(٣).

ثانياً: التحريك والتسكين:

أ - التحريك:

١- ضم العين:

١- قال تعالى:

﴿وَأَضْمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ...﴾ (٣٢) [القصص].

قرأ الجحدري: «مِنَ الرَّهْبِ» بضم الراء والهاء.

وفي هذه الآية أربع لغات، «الرَّهْبِ» و«الرَّهَبِ» و«الرَّهَبِ» و«الرَّهْبِ». ومعناها الخوف^(٤).

(١) البحر المحيط ٦/٣٧٦.

(٢) المحتب ٨٥/٢.

(٣) الكشاف ٣/١٦٢، وينظر: البحر المحيط ٦/٣٧٦.

(٤) ينظر: الكشاف ٣/٤٠٨، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل ٢/١٩٢.

وقال العكبرى عن هذه القراءات أنها (لغات، وَقَدْ قُرئَ بِهِنَّ) (١).

٢- قال تعالى:

﴿مُتَكِينٍ عَلَى رُقُوفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ (٧٦) [الرحمن].

قرأ الجحدري: «خُضْرٍ» بضم الضاد إبتاعاً لضمة النون، وقراءة الجمهور «خُضْرٍ» بضم الخاء وإسكان الضاد.

ويظهر أن إبتاع الضم هنا ظاهرة تشيع في كلام كثير من العرب، فقد حكى الأخفش عن عيسى بن عمر أنه قال: (ما سُمِعَ أو سَمِعنا «فُعَل» إلا وقد سَمِعنا فيه «فُعُل» (٢).

وكما يحصل هذا الانسجام بين صامتٍ وآخر مثله، فإنه حاصلٌ بين الصوائت كذلك.

وهذا النوع من المماثلة يُسمى بـ (المماثلة التقديمية أو الإبتاع المقبل أو بالتأثر النقدي) وكلها بمعنى واحد. وذلك لأن الصوت الأول أثرٌ في الذي يليه فجذبهُ إلى صوتٍ مجانسٍ له (٣).

وهذا النوع من التأثير كثير الوقوع في اللغة الإنجليزية قليل الشيع في العربية (٤).

ب- التسيكين:

١- إسكان العين:

١- قال تعالى:

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ...﴾ (١٦٨) [البقرة].

(١) التبيان في إعراب القرآن ١٧٨/٢.

(٢) المحتسب ١٧٠/٢، وينظر: شح الرضى على الشافية ١٤٦/١، البحر المحيط ٢٠٨/٢، والظواهر اللغوية في قراءة الحسن البصرى ١٢٢.

(٣) ينظر: في البحث الصوتي عند العرب ٧٠-٧١، والظواهر اللغوية في قراءة الحسن ١١٩.

(٤) ينظر: الأصوات اللغوية ١٨٠، وينظر: المنهج الصوتي للبيئة العربية ٢١٠.

قرأ الجحدري: «خطوات» بسكون الطاء. في هذه الآية فقط.

وقرأ الجمهور «خطوات» بضممتين (لأن الواحد «خطوة»، فإذا جمعت حركت العين للجمع، كما فعل بالأسماء التي على هذا الوزن نحو: «غرفة وغرفات» فالتحريك فاصل بين الاسم والصفة و«الخطوة» من الأسماء لا من الصفات فيجمع بتحريك العين^(١).

وأما من أسكن الطاء فقال: «خطوات» فإنه نوى الضمة وأسكن الكلمة عنها طلباً للخفة^(٢). وقد ذكر سيبويه أن الذين يخففون، إنما يخففون إذا تابعت ضمتان، وقد كرهوا ذلك كما يكرهون الواوين، وإنما الضمتان من الواوين، فكما تكره الواوان كذلك تكره الضمتان^(٣)، فكيف وقد جاءت ضمتان وواو، لا شك أن ذلك ثقيل لذا مالوا إلى التخفيف^(٤).

والإسكان لغة تميم، والضم على الإتياع لغة أهل الحجاز وهذا لا يتنافى مع ما ذكر من أن الإتياع أو الانسجام الأصواتي خاصة من خصائص اللهجات البدوية، وأثر من آثار السرعة في الكلام، ذلك أن الإتياع في نحو «خطوات» لا تلجأ إليه القبائل البدوية لما فيه من ثقل يكمن في توالي ضممتين في كلمة كبيرة البنية، فهو هنا أثر من آثار التاني في الأداء^(٥).

ثالثاً: الذكر والحذف:

أ - الحذف:

١ - قال تعالى:

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَجْمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ...﴾ (٤٤)

[فصلت].

(١) التفسير الكبير ٣/٥.

(٢) التبيان في إعراب القرآن ١/٧٥.

(٣) ينظر: الكتاب ١١٣/٣ ط هارون.

(٤) ينظر: الكشف ١/٢٧٤، وقراءة شعبة ٦٦.

(٥) ينظر: الكشف ١/٢٧٣، والبحر المحيط ٢/١٢٢، واللهجات في الكتاب ١١٣.

قرأ الجحدري: «أَعْجَمِيٌّ» بهمزة واحدة والعين ساكنة^(١).

وقرأ الجمهور: آعْجَمِيٌّ بهمزة الاستفهام بعدها مدَّةٌ هي همزة أعجمي وقيامها في التخفيف، التَّسْهِيلُ بَيْنَ بَيْنَ^(٢).

(فالهمزة همزة الإنكار، يعنى لأنكروا وقالوا: أقرآنُ أعجميٌّ ورَسُولُ عَرَبِيٌّ)^(٣).

وحجَّةٌ من أبدلَ من أَلِفِ القِطْعِ مدَّةً: (أنه استثقل الجمع بين همزتين فخفف إحداهما بالمدَّة)^(٤).

وأما قراءة «أَعْجَمِيٌّ» بقصر الهمزة وسكون العين، (فعلَى أنه خبرٌ لا استفهام أى لقالوا: لولا فُصِلت آيَاتُهُ ثُمَّ أخبر فقال: الكلام الذى جاء به أعجميٌّ، أى: قرآنٌ وكلام أعجميٌّ)^(٥).

ذكرنا فيما سبق أن (تخفيف الهمزة؛ يجمعه الإبدال والحذف وبين بين)^(٦) والذى يعنينا هنا هو التخفيف بالحذف.

تخفيف الهمزة بحذفها، وله صورتان:

١- حذفها دون حركتها ونقل حركتها إلى ما قبلها.

٢- حذفها وحذف حركتها.

والذى يعنينا منها الأول. نحو:

(١) المحتسب ٢/٢٤٧.

(٢) البحر المحيط ٧/٥٠٢.

(٣) الكشف ٤/٢٠٢.

(٤) الحجة لابن خالويه ٢٩١.

(٥) المحتسب ٢/٢٤٨.

(٦) شرح الرضى على الشافية ٣/٣٠.

٢- قوله تعالى:

﴿كَزَرَ عَ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ...﴾ (٢٩) [الفتح].

قرأ الجحدري: «شَطْهُ» بغير همزة ولا ألف، ووجهه أنه ألقى حركة الهمزة على الطاء وحذفها^(١) وهذا الحذف قياسي لأن الساكن قبل الهمزة وهو الطاء في «شَطْهُ» ليس بحرف مدّ ولا لين، وحكم تخفيف الهمزة في مثل هذا (أن تلقى حركتها على ما قبلها وتُحذف كقولنا في «مَسْأَلَةٌ» «مَسَلَةٌ» وفي «مَرَأَةٌ» «مَرَةٌ»^(٢).

قال سيبويه: (واعلم أن كلَّ همزةٍ مُتحرّكة كان ما قبلها حَرَف ساكن فأردت أن تُخَفَّف حذفتها وألقيت حركتها على الساكن الذي قبلها)^(٣).

(١) ينظر: التبيان في إعراب القرآن ٢/٢٣٩، والصرف د. حاتم الضامن ١٩٢-١٩٣.

(٢) النكت في تفسير كتاب سيبويه ٢/٩٧٢-٩٧٣.

(٣) الكتاب ٢/١٦٥، وينظر: شرح المفصل ٩/١١٥، وشرح الرضى على الشافية ٣/٤٢.